العدد الثالث ـ السنة الثانية
(المحـــرم ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٣م)

تصدر عن ملتقى أهل اللغة
www.ahlalloghah.com



مجلة ملتقى أهل اللغة

مجلة علمية أدبية تعنى بنشر الإبداعات الأدبية ، والمقالات والدراسات العلمية الأصيلة المتصلة بعلوم العربية

تصدر مرتين سنويا

من موضوعات العدد

تنبـــــه وأنت تعـرب كـــــلام الله

أنس آغـــــا

لم عُرفت « السفينة » ، ونكر « الغلام » ، و « القرية » ؟

فيصـــل المنصـــور

الإقعـــــــــــاد

عائشـــة بنت علي

المتـــــــــوفي أم المتـــــــــوفى؟

محمـد تبركـــان

أســـاء ســـمعا فأســـاء جابـــة

صـــالح الجســـار

إبداعـــــات أدبـــيـــــة

من مختـــارات الطـــرائف والنـــوادر

مجلة
ملتقى أهل اللغة

مجلة علمية أدبية تعنى بنشر الإبداعات الأدبية
والمقالات والدراسات العلمية الأصيلة المتصلة بعلوم العربية
لأعضاء ملتقى أهل اللغة

تصدر مرتين سنويا

المحرم
١٤٣٥هـ

هيئة التحرير

عمار الخطيب
رضوان بن محمد
محمد بن إبراهيم
عائشة بنت علي

التصميم والإخراج

رضوان بن محمد
عمار الخطيب
عائشة بنت علي

تصدر عن ملتقى أهل اللغة
www.ahlalloghah.com


بسم الله الرحمن الرحيم

تنبه وأنت تعرب كلام الله

أنس آغا

(مَقَالٌ مُسْتَلٌّ مِنْ حَلْقَةِ النَّحْوِ والتَّصْرِيفِ)

تَنبَّه ! وأنتَ تُعرِبُ كَلامَ الله

* قالَ الله تعالَى في سُورةِ البَـقَرةِ [الآية : ٧] :

﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ وَلَـهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

حَديثُنا هُنا على قولِه تعالَى : ﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ ، ولعلَّ بعضَ القُرَّاءِ يَظنُّ أنَّهما – أَعني الجارَّ والمجرورَ – مَعطوفانِ على قولِه تعالَى : ﴿ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ .

فأَقولُ : إنَّ هذا العَطفَ مُشكِلٌ مِن ناحيتَينِ :

* **أَمَّا الأُولَى** : فلَفظِيَّةٌ ، وبيانُها :

أَنَّك لو عَطفْتَ الجارَّ والمجرورَ هذَينِ على الجارِّ والمجرورِ قبلَهما وقعتَ في مُشكلةِ إِعرابِ ﴿ غِشَـٰوَةٌ ﴾ ، فهي مَرفوعةٌ ، وعلى هذا العَطفِ لا يكونُ لرَفعِها سَببٌ .

* **وأَمَّا الثَّانيةُ** : فمَعنويَّةٌ ، وبيانُها :

أَنَّك بهذا العَطفِ تَجعلُ الـمَعنَى : أنَّ اللهَ يختِمُ على القُلوبِ والسَّمعِ والأَبصارِ ،

لكنَّ الـمَعنَى على خِلافِ ذلكَ ، إذ الـخَتمُ يكونُ على القَلبِ والسَّمْـعِ . أمَّا البَصرُ فلهُ الغِشاوَةُ . والدَّليلُ قولُه تعالَى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الجاثية - الآية : ٢٣] فقد صرَّحَ في هذه الآيةِ الكريمةِ بأنَّ الختمَ يكونُ على القُلوبِ والسَّمعِ ، والغِشاوةُ لِلبَصرِ .

لذا وَجبَ أَنْ نَعدِلَ إلى وَجهٍ آخرَ ، وهو : أنَّ الجارَّ والمجرورَ ﴿ عَلَى أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ مُتعلِّقانِ بخَبرٍ مُقدَّمٍ محذوفٍ . و﴿ غِشَـٰوَةٌ ﴾ مُبتدأٌ مُؤخَّرٌ مَرفوعٌ . وحينئذٍ يَستقيمُ لكَ اللَّفظُ والمعنَى .

* * *

* قال الله تعالى في سورة البقرة [الآية : ١٧٨] :

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌۢ بِالْـمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ﴾ (١)

مِن المعروفِ أنَّ الفِعلَ حينَمـا يُبنَى للمَجهولِ يُحذفُ الفاعلُ ، ولا يجوزُ ذكرُه

(١) فِكرةُ هذهِ المقالَةِ مُستفادَةٌ مِن مُشارَكةٍ للدُّكتورِ إبراهيمَ الشَّمسانِ في شَبكةِ ضِفاف لعُلومِ اللُّغةِ العربيَّـةِ ، فجَزاهُ الله خَيرَ الجزاءِ .

بعدُ ، فلا تَقولُ : « ضُرِبَ اللصُّ مِن قِبَل الشُّرطةِ » ، لأنَّكَ بذلكَ تَنقضُ الغَرَضَ الَّذي مِن أجلِه بَنَيتَ الفِعلَ للمَجهولِ . [٢] لذا فإنَّكَ تَجدُ أهلَ اللُّغةِ يُخطِّئُونَ هذا الاستعمالَ ويَعُدُّونَه مِن الأخطاءِ الشَّائعةِ .

غيرَ أنَّ وَهمًا قد يَتسرَّبُ إلى القارئِ الكريمِ فيَظنُّ أنَّ الآيةَ جَمعَتْ بينَ الفاعلِ ونائبِه ، فنائبُ الفاعلُ هو ﴿ شَيءٌ ﴾ ، والفاعلُ هو ﴿ أَخِيهِ ﴾ ، فيُخلِّطُ في القياسِ والمعنَى :

- أمَّا مِن حَيثُ القياسُ : فلِمَا ذَكرنَاه .
- وأمَّا مِن حَيثُ المعنَى : فلِأنَّ فيه إحالةً . فكيفَ يَعفُو المقتولُ بعدَ أن يُقتَلَ ؟

لِذا فإنَّ مَن طالَع كُتبَ التَّفسيرِ وجدَ عُلماءَه أَجمعَ لا يَلتفِتونَ إلى هذا المعنَى أصلًا لما فيهِ مِن إحالةٍ . لكنَّهم اختَلفُوا في تَأويلِ هذه الآيةِ على أكثرَ مِن وَجهٍ . والظَّاهرُ أنَّ المرادَ مِنها : القاتلُ الَّذي عُفيَ له مِن دَمِ أَخيهِ أو مِن حقِّ أَخيهِ شيءٌ فعلَى وَليِّ المقتولِ مُطالبةٌ لِلدِّيةِ بالـمعـروفِ ، وعلَى القاتـلِ أداءٌ إليهِ بإحسانٍ . وعلَى هذا فـالكَلامُ على

(٢) على أنَّ اللُّغةَ الإنكليزيَّةَ تجمعُ بينَهما ، فيقولونَ علَى سبيلِ المثالِ : « Letters are written by Ali » أي : « قَد كُتِبَت الرِّسالةُ مِن قِبَل عليٍّ » .

حَذفِ مُضافٍ ، فـ ﴿ مِنْ أَخيهِ ﴾ ، أي : مِن دَمِ ، أَو مِن حَقِّ أَخيهِ . [٣]

❊ ❊ ❊

❊ قال الله تعالى في سورة البقرة [الآية : ١٧٨] :

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى الله ﴾

لعلَّ قارئَ هذهِ الآيةِ المبارَكةِ يتسرَّعُ في إعرابِ كلمةِ ﴿ يَومًا ﴾ فيقول : إنَّها ظَرفُ زَمانٍ مُتعلِّقٌ بالفِعلِ ﴿ اتَّـقُوا ﴾ .

فأقولُ : قد عَرَّفَ النُّحاةُ ظَرفَ الزَّمانِ بأنَّه : اسمُ الزَّمانِ المنصوبُ بتَقديرِ حَرفِ الجرِّ (في) قَبلَه . فنَحوُ : « زُرتُكَ يَومَ الخميسِ » ، تَقديرُه : زُرتُك في يَومِ الخميسِ . وعلَى هذا فَـقِسْ .

نَرجعُ الآنَ للآيةِ فنَقولُ : لو جَعلتَ ﴿ يَومًا ﴾ في هذهِ الآيةِ ظَرفًا كانَ عليكَ أن

(٣) انظر : (البَيـان فـي غَريبِ إعرابِ القُـرآن : ١/ ١٤٠، ١٤١) لابنِ الأنبـارِيِّ ، و (مُشكِل إعرابِ القُرآن : ١/ ٨٣) لمكِّيٍّ ، و(كَشف المُشكِلات : ١/ ١٣١، ١٣٢) للباقولي ، و(الجواهِر الحِسان : ١/ ٣٩٦) للثَّعالبيِّ ، و(البَحر المُحيط : ٢/ ١٥) لأبي حيَّانَ ، و(الدُّر الـمَصون : ١/ ٢٥٢، ٢٥٣) للسمينِ الحلَبي ، و(المفصَّل في تَفسيرِ القُرآنِ الكَريمِ – ص ٨٦) المعروفَ بـ (تَفسيرِ الجَلَالَين) تَحقيق : فَخرِ الدِّين قباوة .

تَجعلَه على تَقديرِ (في) ، فيَصيرُ التَّقديرُ : « وَاتَّقوا اللهَ في يَومٍ تُرجَعونَ فيهِ إليه » ، ونَكونُ مَأمورينَ بأن نَتَّقي اللهَ يومَ القيامةِ ! وهذا مَعنًى فاسدٌ ، فكيفَ نُؤمرُ بِالتَّقوى يَوم القيامةِ وهو يومُ حسابٍ لا يَومُ عَملٍ ، لذا كان إعرابُه ظرفًا وهمًا ظاهرًا .

فنَقولُ : المقصودُ مِن الآيةِ – والله أَعلمُ – أن نَتَّقي ذلكَ اليومَ نَفسَه ، وأن نَخافَ ذلكَ اليومَ نفسَه ، فطَلَبُ التَّقوى واقعٌ على ﴿ يومًا ﴾ نفسِها ، وعليهِ فإعرابُ كلمةِ ﴿ يومًا ﴾ : مَفعولٌ به مَنصوبٌ ، وعَلامةُ نَصبِه الفَتحةُ الظَّاهرةُ .

وانظُر – مثلًا – إلى قولِه تعالَى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [سورة الحج – الآية : ٤٧] فلا يُمكِنُ أَن تَجعلَ ﴿ يومًا ﴾ ظرفًا ، بل هو اسمٌ لِـ (إنَّ) .

* * *

* قالَ اللهُ تعالَى في سُورةِ آلِ عِمرانَ [الآية : ١٣٨] :

﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

لعلَّ الكثيرَ ممَّن يَقرأ هذهِ الآيةَ وأَشباهَها يَستشكِلُ وُقوعَ المنصوبِ بينَ المرفوعَينِ في هذهِ الآيةِ ، إذ يَتوَهَّمُ أنَّ ﴿ هُدًى ﴾ مَنصوبةٌ !

والجوابُ عن ذَلك : أنَّ كلمةَ ﴿ هُدًى ﴾ ليست بمَنصوبةٍ كما يُتوَهَّم ، بل هي مَرفوعةٌ . وبيانُ ذلكَ :

أنَّ ﴿ هُدًى ﴾ اسمٌ مَقصورٌ ، والاسمُ المقصورُ لا تَظهرُ عليهِ حَركاتُ الإعرابِ الثَّلاثُ . وعلَى هذا فـ ﴿ هُدًى ﴾: اسمٌ مَعطوفٌ على ﴿ بَيانٌ ﴾ مَرفوعٌ ، وعَلامةُ رَفعِه الضَّمَّةُ المقدَّرةُ على الألفِ المحذوفةِ لَفظًا ، لِالتقاءِ السَّاكنَينِ .

وأَصلها (هدَيٌ) ، قُلِبَت الياءُ ألِفًا ، لِتَحرُّكِها بَعدَ فَتحٍ ، فصارَت (هُدًى) ، فالتَقى ساكنانِ : التَّنوينُ والألِفُ ، فحُذِفَت الألِفُ لَفظًا ، وبَقِيَتْ خَطًّا . (٤)

ومِثلُ هذهِ الآيةِ :

* قولُه تعالَى ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ ءاثـٰرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّـمَـا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوراةِ وَءَاتَيْـنَـٰهُ الْإِنْجِـيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّـمَـا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوراةِ وَهُـدًى وَمَوْعِظَـةً لِّلْمُتَّـقِينَ ﴾ [المائدة - الآية : ٤٦]

(٤) * تنبيهٌ مُهمٌّ :

علَّق على هذا الأُستاذُ محمَّدُ بنُ إبراهيمَ - وفَّقه الله تعالَى - فقالَ : « والصَّوابُ : أنَّها صارتْ بالرَّسمِ التقريبيِّ- كما لا يَخفَى عليكم - : (هدانْ) لا (هدًى) ، أمَّا في النُّطقِ ، فإنَّ الألفَ مُثبَتةٌ وقفًا (هدَى) محَذوفةٌ وصلًا (هدَنْ) ، وأمَّا في الخطِّ ، فإنَّها مُثبتةٌ دائمًا مراعاةً للوقفِ ، واللهُ أعلمُ » اهـ (هيئة التَّحرير)

* وقولُه تعالَى : ﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَـةٌ مِّن رَّبِّـكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [الأنعام - الآية : ١٥٧]

* و قولُه تعالَى : ﴿ هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّـكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [الأعراف - الآية : ٢٠٣]

* * *

* قالَ اللهُ تعالَى في سُورةِ آلِ عِمرانَ [الآية : ١٧٥] :

﴿ إِنَّمَـا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

- ذَهبَ بعضُ أهلِ العِلمِ - كالحسنِ البَصْرِيِّ والسُّدِّيِّ - إلى أنَّ المرادَ بقَولِه تعالى : ﴿ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ : « يخوِّفُ أولياءَه المنافقينَ ، ليَقعُدوا عن قِتالِ المشركينَ » .

- وذهبَ غيرُهم إلى أنَّ المرادَ : « يُخوِّفكُم أولياءَه » .

والَّذي أراهُ أنَّ التَّخريجَ الثَّانيَ أصحُّ ، إن لـم يكن هُو الصَّحيحَ المتعيِّنَ . وذلكَ لِوَجهَينِ :

١. الأوَّلُ : ما ذكرَه ابنُ جِنِّيْ في (المحتسب) (٥) : أنَّ ابنَ عبَّاسٍ رضي الله عنه وعِكرمةَ وعطاءً رحمهمـا الله تعالى قَرؤوا : ﴿ يُخَوِّفكُم أَوْلِيَـآءَهُۥ ﴾ ، ثمَّ قالَ : « في

(٥) (١ / ١٧٧) ، وانظر : (المحرَّر الوَجيز : ١ / ٥٤٤) لابن عطيَّـة .

هـذهِ القِراءةِ دِلالةٌ على إرادةِ الـمفعولِ في ﴿ يُخَوِّفُ ﴾ وحَذفِه في قِراءةِ أكثرِ النَّاس » اهـ

فتكونُ هذه القِراءةُ – على هذا – مُفسِّرةً لقِراءةِ الجماعةِ ، كما ذَكرَ الثَّعالبيُّ في تَفسيرِه [٦] . والقِراءاتُ يُفسِّرُ بَعضُها بعضًا – كما هو مقرَّرٌ – .

٢. الثَّاني : أنَّه على قَولِ الحسَنِ والسُّدِّيِّ لا يكونُ هُناك مُناسبةٌ بينَ هذه الآيةِ ، وقولِه تعالَى بَعدُ : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ ﴾ . أمَّا على تَخريجِ غيرِهما فَلا إشكالَ ، لأنَّ الفاءَ في ﴿ فَلَا تَخافُوهُمْ ﴾ فاءُ النَّتيجةِ ، أي : كَونُ الكُفَّارِ أولياءَ الشَّيطانِ يَنتُجُ عنه ألَّا تَخافوهم وتَخافُونِ ، لأنَّكم مُؤمِنونَ . فتَتِمُّ بهذا الـمُناسَبةُ ، ويَزولُ الإشكالُ .

لذا : فلعلَّ الأَصوبَ أنْ يكونَ ﴿ أَولِيآءَهُۥ ﴾ مَفعولًا به ثانيًا للفِعلِ ﴿ يُخَوِّفُ ﴾ ، والمفعول الأوَّلُ مَحذوفٌ . والتَّقدير : يُخَوِّفُكُم أَولياءَهُ [٧] ، لأنَّه كان قَبلَ التَّضعيفِ مُتعدِّيًا إلَى مَفعولٍ واحدٍ ، فلمَّا ضُعِّفَ تَعدَّى إلى اثْنَينِ ، فَالمخوَّفُ هنا المؤمنونَ لا أولياءُ الشَّيطانِ ، بل هُم أداةٌ لتَخويفِ المؤمِنينَ .

(٦) انظر : (الجواهِر الحِسان في تَفسيرِ القُرآنِ : ٢ / ١٤١) للثَّعالبيِّ .

(٧) ذَهبَ الفرَّاءُ إلى أنَّ الثَّاني على إسقاطِ (الباءِ) ، أي : « يُخوِّفكُم بِأوليائِه » ، وذَهبَ الزَّجَّاجُ إلى أنَّه على إسقاطِ (مِن) ، أي : يُخوِّفكُم مِن أَوليائِه ، كما ذَكرَ ابنُ الجوزيِّ في (زَاد المسيرِ : ١ / ٥٠٦ ، ٥٠٧) .

أمَّا عن سَببِ حَذفِ الـمَفعولِ الأوَّلِ فقد قالَ البقـاعيُّ : « ﴿ يُـخَـوِّفُ ﴾ أي : يُخوِّفكم ﴿ أَوْلِيَـآءَهُۥ ﴾ . لكنَّه أَسقطَ المفعولَ الأوَّلَ إشارةً إلى أنَّ تَخويفَه يَؤُولُ إلى خَوفِ أَوليائِه ، لأنَّ أولياءَ الرَّحمـٰن إذا ثبَتوا لأَجلِه أَنجزَ لَـهم ما وَعدَهم مِن النُّصرةِ على أَولياءِ الشَّيطانِ ، وإلى أنَّ مَن خافَ مِن تَخويفِه ، وعَمِلَ بمُوجبِ خَوفِه ، ففيهِ ولايةٌ له تُصحِّحُ إضافتَه إليه ، قلَّت أو كَثُرت » اهـ [٨]

❊ ❊ ❊

❊ قالَ اللهُ تعالَى في سُورةِ النِّساءِ [الآية : ٤٠] :

﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَظلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَـةً يُضَـٰعِفْهَا ﴾

قَد يتسرَّعُ أحدُنا ، فيَظنُّ أنَّ ﴿ مِثْقَالَ ﴾ مَفعولٌ به مَنصوبٌ للفِعلِ ﴿ يَظْلِمُ ﴾ ، فيُفسِدُ التَّركيبَ مِن حَيثُ لا يَدرِي ، إذْ مِن البَدهيَّاتِ في تَعريفِ المفعولِ به أنَّه : ما وَقعَ عليهِ فِعلُ الفاعِلِ . وعلى هذا الوَهَمِ يكونُ الظُّلمُ واقِعًا على المِثقالِ ، أي : أنَّ المِثقالَ مَظلومٌ !

لِذا كانَ لا بُدَّ لنا مِن تَروٍّ واستِـقراءٍ لأَبوابِ الـمَنصوباتِ ، ليتبَـيَّنَ لنا بِاليقينِ أنَّ

(٨) (نَظمُ الدُّرَر في تَناسُبِ الآياتِ والسُّورِ : ٥ / ١٣٢) .

﴿ مِثقالَ ﴾ مَفعولٌ مُطلقٌ نائبٌ عن مَصدرِ ﴿ يَظْلِمُ ﴾ . والأَصلُ : « إنَّ اللهَ لا يَظلِمُ أحدًا ظُلمًا مِثقالَ ذرَّةٍ » ، فحَذفَ (ظُلمًا) وحلَّ ﴿ مِثقالَ ﴾ محلَّه . أمَّا المفعولُ به فهو مَحذوفٌ ، وتَقديرُه (أحدًا) – كما بيَّـنَّا – .

ويُمكنُ أن تَجعلَ ﴿ مِثقالَ ﴾ مَفعولًا به ، لكِن لا على ما زَعمَه الزَّاعم ، بل على أن يَكونَ مَفعولًا به ثانيًا ، والأوَّل مَحذوفٌ – كما بيَّـنَّا – وتَقديرُه : (أحدًا) ، وذلكَ بتَضمينِ ﴿ يَظْلِمُ ﴾ مَعنَى (يَنقُصُ) و (يَغصِبُ) ونَحوِهما ، مما يتعدَّى إلى مَفعولَينِ ليسَ أَصلُهمـا الـمُبتدأَ والخبرَ .

❊ ❊ ❊

❊ قالَ اللهُ تعالَى في سُورةِ الأنعام [الآية : ٩٠] :

﴿ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَـدِهْ ﴾

قد يتسرَّعُ المبتدِئُ فيَظنُّ أنَّ الهاءَ في ﴿ اقْتَدِه ﴾ مَفعولٌ بهِ ، وهذا بِلا شكٍّ وَهَمٌ . فالفعل (اقْتَدى) لا يَتعدَّى بنَفسِه ، بل يَتعدَّى بِالبـاءِ ، وعلى هـذا فالجارُّ والمجرورُ ﴿ بِهُدَى ﴾ مُتَعلِّقانِ بالفعلِ ﴿ اقتَدِ ﴾ ، وهُما مَفعولُه غيرُ الصَّريحِ .

أمَّا هذه الهاءُ : فقُرِئَت بوَجهَينِ :

- فَقرأهَا ابنُ عامرٍ بالكَسرِ مُشبَعةً : ﴿ اقْتَدِهِۦ ﴾ .
- وقَرأها الباقونَ بِالسُّكونِ وَقفًا : ﴿ اقْتَدِهْ ﴾. [1] ، على خِلافٍ بينَهم في حَذفِها وَصلًا ، أو ثُبوتِها .

فعلى قِراءةِ ابنِ عامرٍ ﴿ اقْتَدِهِۦ ﴾ : تَعودُ الهاءُ على المصدرِ المضمَّنِ أو المفهومِ مِن ﴿ اقْتَدِ ﴾ ، فهيَ في محلِّ نَصبٍ ، مَفعولٌ مُطلَقٌ نائبٌ عن مَصدرِ ﴿ اقْتَدِ ﴾ .

وعلى قِراءةِ الباقِينَ : هي هاءُ السَّكتِ ، اجتُلِبَت لِبيانِ حَركةِ الدَّالِ ، ذلكَ أنَّ الفِعلَ ﴿ اقْتَدِ ﴾ مَبنيٌّ على حَذفِ حَرفِ العِلَّةِ ، وهو الياءُ هنا ، وكَسرةُ الدَّالِ دليلٌ على الياءِ المحذوفةِ ، فلو وَقفَ بِالسُّكونِ لَتوهَّم البَعضُ أنَّه مَبنيٌّ على السُّكونِ كالصَّحيحِ الآخِرِ ، فلِذا اجتُلِبت هذهِ الهاءُ .

فإن قُلتَ : المعروفُ أنَّ هاءَ السَّكتِ إنَّما تَثبُتُ في الوَقفِ ، وتُحذَفُ في الوَصلِ ، وبَعضُ مَن قَرأَ الهاءَ ساكنةً في هذه الآيةِ أثبتَ الهاءَ وقفًا ووصلًا .

فالجوابُ : أنَّ هذا إجراءٌ لِلوَصلِ مُجرى الوَقفِ ، أي : أَن يُعطَى الوَصلُ حُكمَ الوَقفِ – كما هُنا – فالهاءُ هذهِ لأَجلِ الوَقفِ ، فيَنبغي ألَّا تكونَ إلَّا فيهِ ، لكنَّهُم

(١) انظر : (المبسُوط في القِراءاتِ العَشْر ص ١٩٨) لابنِ مِهران الأصبهانيِّ ، وقارِن بـ (الدُّرِّ المصونِ في عُلومِ الكتابِ المكنونِ : ٥ / ٣١) .

حَمَلوا الوَصلَ عليهِ ، فأثبتُـوها فيهِ ، ولهُ أَمثلةٌ كثيرةٌ في العربيَّـةِ .

❊ ❊ ❊

❊ قالَ اللهُ تعالَى في سُورةِ الأَعرافِ [الآية : ٣٩] :

﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَـهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْـحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَـٰهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُوا بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾

لعلَّ القارئَ الكريمَ لهذهِ الآيةِ المبارَكةِ عندما تمرُّ به كلمةُ ﴿ ما ﴾ يتسرَّعُ فيُعرِبُها حَرفَ نَفيٍ ، لكنَّه لو تريَّثَ قليلًا لأدركَ أنَّه بذلكَ قد أَبعدَ الشُّقَّةَ ، وصيَّرَ الكافرينَ مَظلومينَ بهذا العِقابِ ، لا ظالِمينَ ! إذ إنَّ المعنَى – على جَعلِها حَرفَ نَفيٍ – يَصيرُ : أنَّ اللهَ يُعذِّبُهم لأنَّهم ما كانوا بآياتِه يَجحدونَ ! وعلى هذا يكونُ عِقابُهم ظُلمًـا ! تعالَى اللهُ عن ذلكَ عُلوًّا كَبيرًا .

لذا كان لا بدَّ لنا أن نَبحثَ عن وَجهٍ آخرَ لإعرابِ ﴿ ما ﴾ ، وهو أنَّها مَصدريَّةٌ ، والمصدرُ المؤوَّلُ مِن ﴿ ما ﴾ وما بعدَها مَعطوفٌ على المصدَرِ المؤوَّلِ مِن ﴿ مَا نَسُوا ﴾ والتَّقديرُ : « فَاليومَ نَنْساهُم لِنسيانِهم لِقاءَ يَومِهم هذا ، وجَحدِهم بآياتِنا » .

❊ ❊ ❊

لم عرفت «السفينة»، ونكر «الغلام»، و«القرية»؟

فيصل المنصور

(مَقَالٌ مُسْتَلٌّ مِنْ حَلْقَةِ البَلاغَةِ والنَّقْدِ)

لِـم عُرِّفَت (السَّفينةُ) ، ونُكِّرَ (الغُلامُ) و(القَريةُ) في سُورةِ الكَهفِ ؟

قالَ الله تعالَى في سُورةِ الكَهفِ : ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ [آية ٧١] ؛ فعرَّفَ (السَّفينةَ) .

وقالَ تعالَى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ ﴾ [آية ٧٤] ، وقالَ تعالَى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا ﴾ [آية ٧٧] ؛ فنكَّرَ (الغُلامَ) ، و (القَريةَ) .

فكيفَ فرَّقَ تعالى بينَ هذهِ الثلاثةِ ؟ وكيف عرَّف (السَّفينةَ) ولم يَتقدَّم لها ذِكرٌ ؟

يَنبغي أنْ نعلمَ أوَّلُ أنَّ التَّعريفَ ، والتَّنكيرَ مَبحَثٌ نَحوِيٌّ مُتَّصِلٌ بعِلمِ المعانِي ، مِن قِبَل دَورانِ الكَلمةِ بينَ هاتَينِ الحقيقتَينِ دَورانًا ربَّما أَشكلَ الفَصلُ فيه علَى المُتكلِّمِ غيرِ البَصيرِ بمَواقعِ الكَلامِ ، ووُجوهِ الخِطابِ ، ودَقائقِ الأَحوالِ . يُنبيكَ بِهَذا قَولُ امرِئ القَيسِ بنِ حُجْر :

مِسحٍّ إِذا ما السَّابِحاتُ علَى الوَنَى أَثَرْنَ الغُـبـارَ بِالكَـديدِ الـمُـرَكَّلِ

فقد رَوى جُمهورُ الرُّواةِ : (الغُبارَ) ، ورَوى الأصمعيُّ : (غُبارًا).

وقولُه :

فَـعَـنَّ لـنـا سِربٌ كأنَّ نِـعـاجَــهُ عَـذارَى دَوارٍ في مُــلاءٍ مُـذَيَّــلِ

فقد رَوى جُمهورُ الرُّواةِ : (مُلاءٍ) ، ورَوى الأصمعيُّ : (الملاءِ).

ولا شكَّ أيضًا أنَّك تَرى مِقدارَ الاختلافِ بينَ نُقَّاد القَصائدِ ؛ فمِنهُم مَن يدَّعي أنَّ التَّنكيرَ في مَوضعٍ مَّا للتَّحقيرِ . ومِنهم مَن يقولُ : هو للتَّعظيمِ . ومِنهم مَن يقولُ : هو لَا يُفيدُ هذا ، ولا ذاكَ . ثمَّ لا تَجِدُهم يُبدونَ لكَ عن مِعيارٍ مَنصوبٍ تَستطيعُ أنْ تَحتكِمَ إليه ، وتَرضَى بقَضائِه .

مِن أَجلِ ذلكَ كانَ مَعرفةُ الفَصلِ فيهِ مِن آياتِ البَلاغةِ الَّتي لا يُهدَى إلَيها إلَّا مَن راضَ نفسَه بمَحاسنِ الكَلامِ ، وعوَّدَها طُرُقَ الإصابةِ ، وأُوتيَ مِن الذَّوقِ ، ولُطفِ الحِسِّ ما اسْتَغنَى بهِ عن الأُصولِ الموضوعةِ ، والقَواعدِ المُستَحدَثةِ .

فأمَّا الَّذي لا يَزالُ بحاجةٍ إلى أُصولٍ يَضبِطُها تكونُ له مَرجِعًا في ما يَعرِضُ لهُ مِن المسائلِ ، فنَذكرُ له إن شاءَ الله حقيقةَ هـذا البابِ بِمـا نَرى فيه القَصدَ ، والسَّدادَ ،

ونُبيِّن عَلاقتَه بِالبلاغةِ ، ثمَّ نَلتفِتُ إلى الآيةِ الكَريمةِ ، فبَيتَي امرِئِ القَيسِ المُتقدِّمَينِ .

❊ ❊ ❊

الأَصلُ في الكَلِم هو التَّنكيرُ ؛ وذلك أنَّ الألفاظَ الموضوعةَ لِتكونَ دَلائلَ على الأشياءِ إنَّما وُضِعت لِتكونَ شامِلةً لكلِّ فَردٍ مِن أَفرادِ الجِنسِ ما توفَّرتْ فيهِ حَقائقُ مُعيَّنةٌ لا تَقومُ ماهيَّتُه إلَّا بها ؛ فإذا قُلتَ : « كِتابٌ » ، دَخلَ في هَذا كلُّ ما كانَ مُؤتلِفًا مِن أَوراقٍ على نَحوٍ مَعلومٍ ، ولم يَستَبِن فَردٌ منها عن فَردٍ ؛ فاحتاجَتِ العَربُ إلى الفَصلِ بينَها ، وتَمييزِ بَعضِها مِن بَعضٍ ، فلَجأَت إلى طَرائِقَ مُختَلِفةٍ ؛ كلُّها يَجمَعُها اسمُ التَّعريفِ ؛ مِنها التَّعريفُ بـ (أَلْ) ؛ فأَلحقَتْها أَوائلَ الكَلِمِ لِتَدُلَّ على أنَّ هذا الشَّيءَ مَعروفٌ عِندَكَ أيُّها المُخاطَبُ ، وأنَّ لكَ به سابِقَ عِلمٍ ، وأنَّه ليس كسَائرِ الأَفرادِ .

والسَّبيلُ إلى مَعرفةِ هذا الفَرْدِ المُعرَّفِ :

١ . أن يَّكونَ أوَّلًا مُشارًا إليهِ ، كما لو قَالَ لك قائِلٌ : « اقْرَأِ الكِتابَ » ، وأعطاكَه بيَدِه ؛ فهو مَعرِفةٌ عِندَكَ بِالحالِ .

٢ . فإن عَدِمْتَ هذا ، ففتِّش عن الكَلمةِ المعرَّفةِ في ما مَضى مِن الكَلامِ ؛ فإذا وَجدتَّها سَبَقتْ ، فهي الـمُرادُ تَعيينُها . ومِن ذلكَ قولُه تعالَى : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَى فِرْعَونَ

رَسُولًا * فَعَصَىٰ فِرْعَونُ الرَّسُولَ ﴾ [المزمل الآيتان : ١٥، ١٦] ؛ فإنَّ قولَه : ﴿ الرَّسُولَ ﴾ مُقتضَاهُ أنَّه مَعروفٌ لَديكَ ؛ فلمَّا عَدِمتَ دَلالة الحالِ ، انتقَلْتَ إلى الكَلامِ .

٣. فإذا عدِمتَ دَلالة الكَلامِ ، ولم تَجِد لها ذِكرًا سابقًا ، انتقَلْتَ إلى دَلالة العَهْدِ ؛ فقد يكونُ بينَكَ وبينَ المتكلِّم عَهدٌ فيها ، كما لو قالَ لكَ : « قَد وَجدتُّ الرَّجلَ » يُريدُ رَجلًا قد حدَّثكَ عنهُ مِن قبلُ .

فإذا وَجدتَّ الْمُخاطِبَ عرَّف لكَ الكَلمةَ ، ولا حالَ تُشيرُ إلَيها ، ولا كَلامَ تَقدَّمها ، ولا عَهدَ بينَكَ وبينَه فيها ، فَاعْلَمْ أنَّه أرادَ تَعريفَ فَردٍ غيرِ مُعيَّنٍ ؛ وهو ما يُسمُّونَه تَعريفَ الجِنسِ . ولا يكونُ إلَّا مَجازًا . ويأتي الحديثُ عنهُ مُفصَّلًا .

فـ (أَلْ) إذن لا تُفارِقُ التَّعريفَ في أَصلِ وَضعِها . ولا يَصِحُّ تَقسيمُها إلى جِنسيَّةٍ ، وعَهديَّةٍ ، ثمَّ تَقسيمُ الجِنسيَّة إلى دَالَّةٍ على الحقيقةِ ، ودالَّةٍ على الاستغراقِ ، ثمَّ تَقسيمُ العَهديَّة إلى ذِكريَّة ، وعِلْميَّة ، وحُضوريَّةٍ ؛ بل كُلُّها لِلتَّعريفِ ، وحَقيقتُها واحدةٌ لا تَختلِفُ ؛ وإنَّما الاختِلافُ بينَها في المراجِعِ الَّتي يَرجِعُ إلَيها التَّعريفُ وحَسبُ . وهي في هذا تُشبِهُ الضَّميرَ ؛ فكما أنَّ رُجوعَه قد يكونُ إلى اسمٍ يَتقدَّمُه ،

وقد يكونُ إلى المفهومِ مِن فِعلٍ سابقٍ له ، وقد يكونُ إلى ما لا ذِكرَ له في الكَلامِ ، وهو معَ ذلكَ لم يُقسَّم مِن هذا الوَجهِ ، فكذلكَ المُعرَّفُ بـ (أَلْ) .

❊ ❊ ❊

فأمَّا ما استحَقَّ التَّعريفَ مِن الكَلِمِ ، فلا يَجوزُ تَنكيرُه بحالٍ ولو مَجازًا ؛ وإنَّما تُنكِّرُه العَربُ بِاسمِ الإشارَةِ مع التَّعريفِ بـ (أَلْ) ؛ فأمَّا التَّعريفُ بـ (أَلْ) ، فَلِلتَّمييزِ مِن سائرِ الأَفرادِ . وأمَّا الإشارةُ ، فلِبَيانِ أنَّه نكِرةٌ حتَّى معَ تَعريفِه ؛ فهو يَحتاجُ إلى تَعريفٍ آخَرَ .

وأمَّا ما استحقَّ التَّنكيرَ ممَّا لا يُراد بهِ فَردٌ معيَّنٌ ، فلا يُعرَّف إلا لَغرَضٍ بَلاغيٍّ كما سيأتي .

واعلَمْ أنَّه لا يُمكِنُ أن يأتِـيَ التَّنكيرُ لِغَرضٍ بَلاغيٍّ البتَّـةَ ، لأنَّ التَّنكيرَ هو الأَصلُ ، وهو الَّذي اقتَضاهُ المعنَى . ومِن شَرطِ صِحَّة العِلَّة أن يتعلَّق الحُكْمُ بها وُجودًا وعَدمًا . وهذه لو أَبطَلْنا العِلَّةَ فيها ؛ وهي إرادةُ الغَرضِ البَلاغيِّ ، لَـمَـا زالَ الحُكْمُ ؛ وهو التَّنكيرُ .

❊ ❊ ❊

وهذا الَّذي ذَكرْتُ مِن أَحكامِ التَّعريفِ بـ (أَلْ) إنَّما هو نُبذَةٌ مُختَصرةٌ مَهَّدتُّ بها لما بَعدَها . ونَأتي الآنَ إلى الآيةِ الكَريمةِ ؛ فنَنظرُ لِمَ عُرِّفَت (السَّفينةُ) دُونَ (الغُلامِ) ، و(القَريةِ) ؟

ليس في هَذهِ الآيةِ دَليلُ حالٍ ، ولـم يَجرِ لِلسَّفينةِ ذِكرٌ ؛ فيَعودَ التَّعريفُ إليها ؛ فيَبقَى إذَنْ احتِمـالانِ :

*** الأوَّلُ :**

أَن يُقالَ : إنَّ في قَولِه قَبلُ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَـٰهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّـا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَـا نَسِيَا حُوتَهُمَـا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي البَحْرِ سَرَبًا ﴾ [آية ٦٠ ، ٦١] ما يُشبِه الذِّكرَ لِلسَّفينةِ ؛ ذلكَ أنَّه ذَكرَ أنَّ مُوسَى عليهِ السَّلامُ بلغَ البَحْرَ . وهذا يَجعلُ السَّامِعَ كالمنتَظِرِ لذِكرِ ما يَحمِلُهم في البَحرِ ؛ وهو السَّفينةُ ؛ فعلى هذا يكونُ مَرجِعُ (أَلْ) مَفهومًا مِن ذِكْرِ غيرِهِ ؛ فلذلكَ عرَّفَها . أمَّا الغُلامُ ، والقَريةُ ، فلم يَتقدَّم قَبلَهما ما يُؤذِنُ بذِكرِهما .

*** الثَّاني :**

ألَّا يكونَ ثمَّةَ مَرجِعٌ لـ (أَلْ) ؛ فيكونُ تَعريفُها تَعريفًا لفَردٍ منها غيرِ مَعلومٍ لدَى السَّامعِ مِن طَريقِ الـمجازِ (استِـعارَة مكنيَّة) ؛ كأنَّه تعالَى يُخـبِرُكَ أنَّ هذا الشَّيءَ

مَعروفٌ لديكَ ويدعوكَ إلى تَذكُّر صفاتِه ؛ كأنَّه قالَ : « أَرأَيتَ هذا الشَّيءَ المعروفَ بعَظمَتِه ، وبحَملِه الأَثقالَ ، والبَشرَ ، فإنَّ الخضِرَ خَرقَه » . وذلك كثيرٌ في مَقاماتِ التَّهويلِ ، أو التَّعظيمِ . وإنَّما ذلك لِيُبيِّنَ عِظمَ ما فَعلَه مِن خَرْقِها في عَينِ مُوسى عليهِ السَّلامُ . وآيةُ ذلكَ أنَّه تعالَى قالَ بعدُ : ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ ؛ و(الإِمرُ) أَشدُّ مِن (النُّكْرِ) ؛ ولهذا عرَّفَ (السَّفينةَ) ولم يُعرِّفِ (الغُلامَ) ؛ إذْ كانَ خَرْقُ السَّفينةِ سَببًا لهلاكِ نُفوسٍ كَثيرةٍ ، وقَتلُ الغُلامِ إنَّما هو هَلاكُ نَفسٍ واحدةٍ . هذا معَ كَونِ أَصحابِ السَّفينةِ مُحسنِينَ بحَملِهم فيهَا بغيرِ أَجرٍ كما قيلَ ، وكَونِهم مَساكينَ أيضًا كما ذكرَ الله تعالَى بَعدُ .

وزَعمَ الشَّيخُ محمَّدٌ الطَّاهرُ ابنُ عاشور أنَّ لامَ (السَّفينةِ) للعَهد الذِّهنيِّ [التحرير والتنوير ٦ / ٣٧٥] ، ومثَّل لها بـقول الله تعالى ﴿ وَأَخافُ أَن يَّأكلَهُ الذِّئبُ ﴾ ، وذَكرَ في هذهِ الآيةِ الأَخيرةِ آيةِ يُوسفَ [١٣] أنَّها لِتَعريفِ الجنسِ [التحرير والتنوير ٥ / ٢٣١] :

١. فإنْ كانَ يريدُ بلَامِ (السَّفينةِ) العَهدَ الذِّهنيَّ كما قالَ في مَوضعِها :

١- فإمَّا أن يكونَ قَصدُه بالعَهدِ الذِّهنيِّ أن يكـونَ بينَ المُتكلِّمِ والـمُخاطَبِ عَهدٌ سابِقٌ فيه :

- فيكونُ الشَّيخُ لـم يُبيِّن في لَامِ (السَّفينةِ) كيفَ هذا العَهدُ أَوَّلًا .
- ويـكونُ هذا المعنَى ثانيًا غيرَ صالحٍ إِجراؤُه في الآيتَـينِ .
- ويكونُ قـد ناقـضَ كَلامَه ثالثًـا ، لأنَّ لامَ الجِنسِ أو الحقيقةِ غيرُ لامِ العَهدِ .

٢- وإنْ كانَ قَصدُه بالعَهدِ الذِّهنيِّ أن يكونَ المتكلِّمُ يُريدُ بهِ فَردًا مُبهمًا مِن أَفرادِ الحقيقةِ مِن حيثُ عهدُه إيَّاهُ في ذِهنِه ، فهذا :

- أوَّلًا : معنًى لا يصِحُّ ، لأنَّه حينَ إذٍ ليسَ مَعرفةً حقيقةً ، ولا مجازًا .
- وثانيًا : لو قدَّرنا أنَّه مَعرفةٌ في ذِهنِ المتكلِّمِ ، فليسَ بمَعرفةٍ عندَ المُخاطَبِ ؛ والتَّعريفُ إنَّما هو لِلمُخاطَبِ ، لا للمُتكلِّمِ ، كما أنَّك لا تأتي إلى رَجُـلٍ خالي الذِّهنِ ، وتقولُ له : « اشتَريتُ الكِتابَ ، وقَرأتُه » ، إذا كانَ لا يَدري أيُّ كتابٍ هذا الكِتابُ . ولا يَنفعُكَ أن يكونَ مَعروفًا عندكَ إذا كانَ مَجهولًا عندَه . ومِثلُ هذا الضَّميرُ ؛ فإنَّك لا تَقولُ لـخالي الذِّهنِ أيضًا : « جاءَ إلـيَّ ، فأكرمتُه » إذا كانَ لا يَعرفُ هذا الَّذي أَضمرتَ عنهُ .
- وثالثًا : يكونُ ناقَضَ كلامَه السَّابقَ ؛ إذ جَعلَ لامَ (الذِّئبِ) للجِنسِ ؛ والجِنسُ كما ذَكرتُ غيرُ العَهدِ .
- ويكونُ رابعًا غيرَ مُزيلٍ للإشـكالِ ، ولا كاشـفٍ عن وَجهِ البَلاغةِ ؛ إذ لِـمَ لَـمْ يُعرَّفِ (الغُلامُ) أيضًا ، و(القَريةُ) بهذا القَصدِ ؟

٢. وإن كانَ يُريدُ بلَامِ (السَّفينةِ) الجِنسَ :

- فهو أولًا لم يُبيِّن وَجهَ البَلاغةِ فيهِ ، ولا عِلَّةَ التَّفرقةِ بينَه وبينَ (الغُلامِ) ، و(القَريةِ) .
- وسمَّاهُ بغَيرِ اسمِه ثانيًـا .
- ولا يَصِحُّ ثالثًا أن يُسمَّى تَعريفًا لِلجِنسِ ، لأنَّ المعرَّفَ إنَّما هو فَرْدٌ مِن أَفرادِه .

وزَعمَ الدُّكتورُ فَاضلٌ السَّامِرَّائيُّ أنَّ سببَ تَعريفِ (السَّفينةِ) أنَّه جاءَتْ سَفينةٌ مارَّةٌ ، فناداها الخضرُ ، ومُوسى ، فعَرفوا الخضرَ ، فحَملوهُما بدُونِ أجرٍ [لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ٤١] . أمَّا الغُلامُ فإنَّهما لَقياهُ في طَريقِهم ، وليسَ غُلامًا مُحدَّدًا مَعروفًا . والرَّدُّ على هذا هو ما ذَكرْنا آنِفًا من أنَّ مُقتضَى التَّعريفِ أن يكونَ مَعروفًا للمُخاطَبِ ، لا لِلمُتكلِّم .

وأمَّا بيتَا امرِئ القَيسِ ، فأوَّلُهمـا قَولُه :

مِسحٍّ إذا ما السَّابِحاتُ علَى الوَنَى أَثرْنَ الغُـبـارَ بالكَـديدِ الـمُـرَكَّلِ

وهذه هي الرِّوايةُ الحـُسنَى ؛ فقد أَرادَ أن يَصِـفَ سُرعةَ جَريِ فَرَسِهِ ، وأنَّه إذا كانَ بينَ

الـجِيادِ السَّابِحاتِ ، وقد بَلغَ مِنهُنَّ الإعياءُ مَبلغَه ، وجعلْنَ يُثِرنَ الغُبارَ لِسُرعةِ جَرْيِهنَّ ، وكَرَمِهـنَّ ، وَجدتَّ فَرسَـهُ يَنصَـبُّ في جَريِه انصِبابًـا ، ولا يُقـصِّرُ عَنـهُنَّ . و كانتِ (الغُبارُ) بِالتَّعريفِ أَحسنَ ، وأَبلغَ ، لأنَّ هذا مَوضِعُ تَهويلٍ ، وتَوكيدٍ ؛ كأنَّه يُريدُ أن يَرُدَّك إلى تَذكُّرِه بحَقيقتِه ؛ فكأنَّه يقولُ : إنَّهنَّ يُثِرنَ الغُبارَ المعروفَ مِن غَيرِ تجوُّزٍ . وهذا أَبلغُ في الدَّلالةِ على سُرعةِ جَريِهنَّ ، ثمَّ الدَّلالةِ على سُرعةِ جَريِ فَرَسِهِ .

وأمَّا الآخَرُ ، فقَولُه :

فـعَـنَّ لَـنـا سِربٌ كأنَّ نِـعـاجَــهُ عَـذارَى دَوارٍ في مُــلاءٍ مُـذَيَّــلِ

وهذه هي الرِّوايةُ الحُسنَى ، وذلكَ أنَّ الشَّاعرَ أرادَ أن يصفَ قَطيعَ البَقرِ الَّذي صادَفه في صَيدِه ؛ فشبَّهَه بِالعَذارى إذا لَبِسنَ مُلاءً ؛ وهو ضَربٌ مِن اللِّباس يُلتحَفُ بِهِ ، وكانَ هذا المُلاءُ مُذيَّلًا ؛ أي سابغًا ، في حالِ طَوافِهنَّ حولَ (دَوَار) ؛ وهو صَنمٌ مِن أصنامِهم . وذلكَ أنَّ البَقرَ تكونُ بِيضَ الظُّهورِ ، سُودَ القوائمِ ؛ وكذلكَ العَذارى في المُلاءِ المُذيَّل ، وأنَّ البقرَ يَلوذُ بَعضُها ببَعضٍ ؛ وكذلكَ العَذارى حولَ الصَّنمِ .

وإنَّما كانَ التَّنكيرُ هنا أَحسنَ ، لأنَّ المَقامَ ليس مَقامَ تَعظيمٍ أو نَحوِه ؛ وإنَّما هو وَصفٌ مجرَّدٌ لا مُبالغةَ فيهِ ، وليس ذِكرُ (الـمُـلاء) على العَـذارى بِالَّذي يَدعـو إلَـى

العَجبِ ، ولَيس تَعريفُه بِالَّذي يَخدُم غَرضَ الشَّاعرِ ، ومَقاصِدَه في شِعرِه . والبَلاغةُ لَيسَتْ كُلُّها في المُبالَغةِ ، أو التَّهويلِ ؛ وإنَّما البَلاغةُ أنْ تَضعَ كُلَّ شيءٍ مَوضِعَه ، وتُخاطِبَ كلَّ امرئٍ بما يَعقِلُه .

❊ ❊ ❊

الإقعاد

عائشة بنت علي

(مَقَالٌ مُسْتَلٌّ مِنْ حَلْقَةِ الْعَرُوضِ)

(الإقعـاد)

مِنْ عُيُوبِ الشِّعْرِ : (الإِقْعادُ) ؛ وهو اخْتِلافُ العَرُوضِ في القَصِيدةِ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيعٍ . [1] وخصَّهُ التِّبريزيُّ وغيرُهُ ببَحْرِ الكامل . [2]

فعلَى سبيلِ المِثالِ :

العَروضُ في بحرِ الطَّويل لا تكونُ إلَّا مَقبوضةً علَى (مَفَاعِلُنْ) ، إلَّا في حالِ التَّصريعِ ؛ فإنَّها تُلحَقُ بالضَّرْبِ ؛ فتكونُ صحيحةً علَى (مَفَاعِيلُنْ) ، إذا كانَ الضَّرْبُ صحيحًا ، ومحذوفةً علَى (فَعُولُنْ) ، إذا كانَ الضَّرْبُ محذوفًا . أمَّا إذا لَمْ يَكُنِ البيتُ مُصرَّعًا ؛ فتكونُ مقبوضةً علَى (مَفَاعِلُنْ) لا غير . [3]

(١) انظُر : (كتاب القوافي – ص ٧٩) لأبي يعلى التنوخيِّ ، و (العمدة ١/ ١٤٣) لابن رشيق .

(٢) انظر : (الوافي في العروض والقوافي – ص ٢٢٦) للخطيب التِّبريزيِّ ، و(العيون الغامزة – ص٢٧٣) للدماميِّ ، و(تاج العروس ٩/ ٥٧) للزَّبيديِّ ، [مادَّة (قعد)] .

(٣) انظر : (العيون الغامزة – ص ١٣٩) للدماميِّ .

غيرَ أنَّا نَجِدُ مَنْ خَالفَ هذا ؛ كالنَّابغةِ الذُّبيانيِّ في قولِهِ :

جزَى اللهُ عَبْـسًا عَبْـسَ آلِ بَغِيضٍ جزَاءَ الكِلابِ العَاوِيَاتِ وقَدْ فَعَلْ

فالعَرُوضُ جاءَتْ محذوفةً علَى (فَعُولُنْ) ، « وذلكَ لا يكونُ في الطَّويلِ إلَّا في الثَّالثِ إذا كانَ مُصرَّعًا » (٤) ؛ فهو إذَنْ « مِنَ الشُّذوذِ في عَروضِ الطَّويلِ » (٥) . « وإنَّما نذكرُ مثلَ هذا ؛ ليُجْتَنَبَ إذا عُرِفَ قُبْحُهُ » . (٦)

ووقَعَ في شِعْرِ أبي الطيِّبِ المتنبِّي – مِن قصيدةٍ منَ الضَّرْبِ الأوَّلِ مِنَ الطَّويل – :

تَفَكُّرُهُ عِلْمٌ ، ومَنطِـقُهُ حُكْمٌ وبَاطِنُـهُ دِينٌ ، وظَاهِرُهُ ظَرْفُ

فنَلحظُ مَجيءَ العَروضِ صَحيحةً على (مَفاعِيلُن) ، معَ كَونِ البَيتِ غَيرَ مُصرَّعٍ ، وكانَ حقُّها أن تكونَ مَقبوضَةً على (مَفاعِلُن) .

قالَ في (مُعجِز أحمدَ ٢/ ٢١) : « اعْلَمْ أنَّ العَروض الطَّويل إذا لَمْ يكن مُصَرَّعًا ؛ لا يَـجيءُ إلَّا مِن (مَفَاعِـلُنْ) مَقبوضةً ، فأمَّا (مَفَاعِيلُنْ) علَى ما جاءَ في هَذا ؛ فإنَّمـا

(٤) (كتاب القوافي – ص ٧٩) لأبي يعلى التنوخيِّ .

(٥) (رسائل أبي العلاء المعرِّيِّ – ص ٦٩) .

(٦) (العمدة ١/ ١٤٤) لابن رشيق .

يُؤتَى به في المُصَرَّعِ فَقَطْ . [٧] والتَّصريعُ : هو إعادةُ القافيةِ . [٨]

عُذْرُه مِن وَجْهَيْن :

* أحدهما :

أنَّ هـذا وإن كانَ هو الأكثر ؛ فقـد جاءَ مثلُ هذا عن العَرَبِ ؛ ألا تَرَى أنَّ الكاملَ لا يكـونُ عَروضُه (مفعولُـنْ) [٩] إلَّا فـي الـمصرَّعِ ، وقَدْ جـاءَ عن العَـرَبِ (مفعولُنْ) في الكاملِ ؛ مِن ذلك : قَوْل ربيع بن زيادٍ :

(٧) قال الدّماميني في (العيون الغامزة – ص ١٤١) : « فإن قُلْتَ : قد جاءَتِ العَروضُ مع عدم التَّصريعِ تامَّةً ؛ كقولِهِ :

ونحن جليـنا الخيـلَ يومَ نهـاوَنْـدٍ وقد أحجَمَتْ مِنَّا الخُيولُ الصَّوَارِمُ

ومحذوفةً كقولِهِ :

تَـراها علَى طُولِ البَـلاءِ جـديـدًا وعـهـدُ الـمغاني بالـحـلومِ قديمُ

قلتُ : هو عندَهم من الشُّذوذِ ، ولا يُقاسُ عليه ، وهو عيبٌ يُسمَّى عندهم بالتَّجميعِ » اهـ

(٨) قال أبو يعلى التنوخيُّ في (كتاب القوافي – ص ٧٦) : « وأمَّا التَّصريع ؛ فهو أن يغيّر صيغة العروض فيجعلها مثل صيغة الضَّرْب » اهـ وقالَ (ص ٧٨) : « التَّقفيةُ والتَّصريع في غيرِ البيت الأوَّل كثيرٌ ، وليسَ عَيْبًا ؛ بل هُوَ دليلٌ على البلاغةِ ، والاقتدارِ على الصنعةِ » اهـ

(٩) أي : مقطوعةً ، علَى وَزْنِ : (مُتَفَاعِلْ) ، ويُنقَلُ إلَى : (فَعِلاتُنْ) . ويجوزُ أن يدخلَهُ زحافُ الإضمارِ ، فيصير : (مُتْفَاعِلْ) ، وهو الَّذي عبَّرَ عنه بقولِهِ : (مَفْعُولُنْ) . وكانَ الأَوْلَى أن يقولَ : (فَعِلاتُنْ) ؛ لأنَّه لا إضمارَ في عَروضِ البيتِ الَّذي استشهدَ به .

ومُجَـنَّـبَاتٍ مـا يَـذُقْنَ عَدُوفًا يَقْذِفْنَ بالـمُهَرَاتِ والأَمْهَارِ [١٠]

(١٠) البيتُ فـي (ديوان الحمـاسةِ) ، من أبياتٍ للرَّبيع بن زيادٍ العبسيِّ ، في رثاءِ مالكِ بن زُهـيرٍ العبسيِّ ، والرِّوايةُ فيه :

* ومُجَنَّبَاتٍ ما يَذُقْنَ عَذُوفًا *

بالذَّالِ .

والوجهانِ صحيحانِ ؛ قال ابنُ السِّكِّيت في (إصلاح المنطق – ص ٣٩٠) :

« وما ذاق عَدُوفًا ولا عَذُوفًا ، بالدَّال والذَّال . وما عدفْنَا عندَهم عَدُوفًا .

قال الشَّاعِرُ :

ومُجَنَّبَـاتٍ ما يَذُقْـنَ عَدُوفًا يَقْذِفْنَ بالْمُهَرَاتِ والأَمْهَارِ » اهـ

وقال الأزهريُّ في (تهذيب اللغة ٢/ ٢٢٤) [مادة (عدف)] :

« وقالَ أبو حسَّان : سمعتُ أبا عَمْرٍو الشَّيبانيَّ يقولُ : ماذُقتُ عَدوفًا ولاعَدُوفةً . قالَ : وكنتُ عند يزيد بنِ مَزْيَد الشَّيبانيِّ ، فأنشدتُّه بيت قَيْس بن زُهَير :

ومُجَنَّبَـاتٍ ما يَذُقْن عَدُوفَةً يَقْذِفْنَ بالْمُهَراتِ والأَمْهَارِ

بالدَّالِ ، فقال لي يَزيدُ بن مَزْيَد : صَحَّفتَ يا أبا عَمْرٍو ؛ وإنَّما هي (عَذُوفة) بالذَّالِ . قالَ : فقلتُ لَهُ : لَمْ أُصَحِّف أنَا ولا أنتَ ؛ تقولُ ربيعةُ هذا الحرف بالذَّالِ ، وسائرُ العَرَبِ بالدَّالِ » اهـ

والبيتُ في (التَّهذيبِ) ليسَ فيه شيءٌ في وَزْنِهِ – كما ترَى – ، وقد نُسِبَ إلى قيس بن زُهيرٍ ، والصَّوابُ أنَّه للرَّبيعِ بن زيادٍ ، في رثاءِ مالك بن زهيرٍ ، أخي قيس بن زهيرٍ . ويُنظَر خبرُ الأبيات في : (الفاخر – ص ٢٢٣) للمفضَّلِ بن سلمة ، و(شرح ديوان الحمـاسة ٣/ ٢٧) للخطيب التِّبريزيِّ ، و(خزانة الأدب ٨/ ٣٦٩) لعبد القادر البغداديِّ .

* والثاني :

أنَّ (مفاعيلن) أصل العَروض الطَّويل ، فيكون قد رجع ههنا إلى الأصلِ لضرورة الشِّعْرِ ؛ لأنَّه إذا جازَ الخروجُ عن أَصْلِ الكَلِمة للضَّرورةِ ؛ فالرُّجوعُ إلى الأَصْلِ أَوْلَى .

ورُوِيَ : (ومَنطقه حِجا) ، ورُوِيَ : (تُقًى) ، وهذا لا اعتراضَ عليه » اهـ[11]

* * *

والشَّاهد الَّذي ذكره هو من أبياتٍ للرَّبيعِ بن زيادٍ العبسيِّ ، وفيها بيتٌ آخَرُ علَى شاكلتِهِ ، هو قولُهُ :

أفَبَـعْدَ مَقْتَلِ مَـالِكِ بْنِ زُهَـيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الأَطْهَارِ

يقولُ أبو عليٍّ المرزوقيُّ في (شرح ديوان الحماسة ٢/ ٩٩٣) :

« وقوله : « ابن زُهَيْرٍ » : جَعَل عروضَ الضَّرب الثَّاني من الكاملِ مقطوعةً ، ولو قالَ : « زُهَيِّرٍ » ؛ لاستقامَ له ، وكانَ يكونُ (مُتفاعِلُنْ) ، وهُمْ يُدخِلونَ علَى الأعلامِ التَّغييرَ كثيرًا ؛ لكنَّهُ مالَ إلَى هذا ، وجَعَله (فَعِلاتُنْ) » اهـ

(١١) هنا يَنتهي المنقولُ عن (مُعجِز أحمد ٢/ ٢١) .

وقال الأعلَمُ الشَّنتَمَريُّ في (شرح الحماسة – ص ٥١٩) :

« وأوقع « زُهَيْرًا » في العَروضِ موقعَ القافيةِ في القطع ، والعَروض لا تُقْطَعُ إلَّا في تصريعِ البَيْتِ ، وهذا مِنْ أقبحِ عُيوبِ الشِّعْرِ ، والَّذي سوَّغَ لهم مثل هذا أنَّ القَطْعَ لَمَّا جازَ مع التَّصريعِ – إشعارًا بأنَّه شِعْرٌ – ؛ جازَ مع غير التَّصريعِ ؛ تشبيهًا به ؛ لأنَّ العَروضَ يُسْكَتُ عليها كما يُسْكَتُ علَى الضَّرْبِ – وهو آخِرُ البَيْتِ – » اهـ

وذَكَرُوا للإقعادِ شواهِدَ أُخْرَى . [١٢]

ووجدتُّ في (كتاب الاختيارَيْن) للأخفشِ الأصغرِ قصيدةً – نُسِبَتْ لامرأةٍ من الأعرابِ ترثي ابنًا لـها – [١٣] من الكاملِ الَّذي عَروضُهُ حذَّاء ، وضَرْبُهُ أَحَذُّ مُضْمَرٌ ؛ علَى هذا النَّحْوِ :

قد كنتَ لي عَضُـدًا إلى عَضُدِي ويـدًا وظَـهْـرًا لي إلَـى ظَهْرِي

قـد كنـتَ لـي ذُخْـرًا أُسَـرُّ بـه فأرَى الزَّمـانَ عدَا علَى ذُخْرِي

(١٢) انظُر بعضَ هذه الشَّواهد في : (كتاب القوافي) للتنوخيِّ (ص ٧٩) وما بعدَها .

(١٣) راجعِ القصيدةَ في : (كتاب الاختيارين ص ٢٨٧ – ٢٩٣) للأخفشِ الأصغرِ .

ولكنْ : قالَتْ بعدَهما :

قـد كنتُ ذَا فَـقْرٍ إليكَ فَعَزَّنـي رَبِّـي عليكَ وقـد رأَى فَـقْرِي

فجاءتِ العَرُوضُ صحيحةً علَى (مُتَفاعِلُنْ) .

وفي القصيدةِ أيضًا قولُـها :

كيفَ التعـزِّي عنـكَ يا عَمْـرُو أمْ كيفَ لـي يا عَمْـرُو بالصَّـبْرِ

وقولها :

لا يُبْعِــدَنْـكَ اللهُ يــا عَـمْـرُو إِمَّـا مَضَـيْتَ فنـحـنُ بـالإِثْـرِ

وفيها إلحاقٌ للعَرُوضِ بالضَّرْبِ ، ويُمْكِنُ أن يُحْمَلَ علَى أنَّه من التَّصريعِ الَّذي وقَعَ فيه الإقواءُ .[١٤]

وعلَى وَزْنِ هذه القصيدةِ ، وقافيتِها : قصيدةُ خِرْنق بنت هفَّان ؛ التَّي منها الشَّاهِدُ المشهورُ :

لا يبعَدَنْ قومي الَّذين هُمُ سُـمُّ العُـداةِ وآفـةُ الجُـزْرِ

(١٤) قالَ ابنُ رشيق في (العمدة ١/ ١٧٦) : « والتَّصريعُ يقع فيه من الإقواء والإكفاء والإيطاء والسناد والتضمين ما يقع في القافية » اهـ

النَّـازلـــينَ بـكلِّ معـــتَرَكٍ والطَّيِّبـونَ معـاقِـدَ الأُزْرِ

وقد جاءَ في هذه القصيدةِ قولُها :

والخالطين نَحِيتَـهم بنُضارِهِمْ وذوي الغِنَى منهم بذي الفَقْرِ

هذا ثنـائي مـا بقـيتُ عليـهمُ فـإذا هلـكتُ أجنَّـني قَــبْري

قالَ عبد القادر البغداديُّ في (خزانة الأدب ٥/ ٥٣) - بعدَ أن ذكرَ الأبيات - : « والعَروضُ فـي هذا البيـتِ على (مُتَـفاعِلُنْ) تامَّـة ، وهي في جـميع الأبيـاتِ على (فَعِلُنْ) حذَّاء ، ولا يجوزُ ذلك . والشِّعرُ من الضَّرب الرَّابع من الكامل » اهـ والله تعالى أعلمُ .

* فائدة : قالَ الأستاذُ محمود محمَّد محمود مُرسي في تَعليقِه على هذا الموضوعِ :

« الإقعادِ فِي الْعروضِ يُقَابلُهُ في الضربِ عيبٌ يُسمَّى : (التحريد) ، فما هو ؟

التحريدُ : هو تنويعُ الضربِ بالبَحْرِ الواحدِ ؛ كالجمعِ بين الصحيحِ والمعصوبِ ، أو الصحيحِ والمقبوضِ ؛ كقولِه من الطويلِ :

إذا أنـتَ فضَّـلْتَ امْـرَأً ذَا نَـبَـاهَـةٍ عَلَى ناقِصٍ كانَ الْـمَدِيحُ مِنَ النَّقْصِ

.....

ألـم ترَ أن السَّيـف ينقـصُ قـدرُهُ إذا قيلَ هذا السَّيْفُ خَيْرٌ من الْعِصِي

فقدْ وقعَ الشاعرُ في التحريد ؛ حيثُ جاءَ ضربُ الأوَّلِ صحيحًا ، وجاءَ ضربُ الثانِي مقبوضًا ، وهذا العيبُ غَيْرُ جائزٍ للمولدين كالإقعادِ ، غيرَ أنه لا يختصُّ ببحرٍ دون بحرٍ ، بخلافِ الإقعاد الذي يختصُّ بالكاملِ . كَمَا أنَّ التحريدَ عيبٌ من عيوبِ القافيةِ ، أمَّا الإقعادُ فمنْ عيوبِ غيرِها .

هذا وقد وقعَ في هذا العيبِ القبيحِ كثيرٌ من الناظمين ، كالسفَّاريني في منظومَتِه في التوحيدِ ، وأذكرُ من ذلك قولَه :

فَالْـحَـدُّ وَهْوَ أَصْـلُ كُلِّ عِلْـمِ وَصْفٌ مُحِيـطٌ كَاشِـفٌ فافْتَـهِمِ

وقوله :

وَنَحْـنُ فِي إِيـمَـانِـنَـا نَسْتَـشْـنِي مِنْ غَيْرِ شَكٍّ فَاسْتَـمِعْ واسْتَبِنِ

وقوله :

وَيَقْبَلُ الْـمَوْلَى بِمَحْضِ الْفَضْلِ مِنْ غَيْرِ عَبْـدٍ كَافِـرٍ مُنْـفَـصِلِ

ولا يخْفَى ما في ذلكَ من قبحٍ .

هذا وإلى (التحريدِ) و(الإقعادِ) أشار الناظمُ بقولِهِ :

تـحْـرِيدُهُـمْ هُو اخْتِـلَافُ الضَّرْبِ كَجَمْعِ ذِي الصِّحَّةِ مَعْ ذِي الْعَصْبِ
وَهُـوَ عَـيْـبٌ لا يَـجُـوزُ أنْ يَـقَـعْ فِـيـهِ مُـولَّـدٌ وَقَـبِّـحْ إِنْ وَقَـعْ
وَعِيبَـتِ العَـروضُ بـالإقـعـادِ إِنْ عُـدِّدَتْ فِي مَـوْضِـعِ الْإِفْـرَادِ
وَهُو كَالـتَّـحْرِيـدِ عَـيْـبٌ قَـرَّا لَـكِـنَّـهُ بِكَـامِـلٍ لَا غَـيْرَا » اهـ =

.....

= وكنتُ ذكرتُ في المقالةِ أنَّ بعضَهم لَمْ يخصَّ الإقعادَ بالكاملِ ؛ كالتّنوخيِّ في (كتاب القوافي) ، فأجابَ الأستاذ محمود مرسي عن هذا قائلًا :

« ما ذكرْتُهُ مِنْ أنَّ الإقعادَ يختصُّ بالكاملِ هُو ما عليه أهلُ العروضِ كما قالَ التبريزيُّ ، وكَما قالَ الدمنهوريُّ في (الإرشادِ الشافي) إذ يقولُ : « فهو – أي الإقعادُ – في العروضِ نظيرُ التحريدِ في الضربِ ، غيرَ أن التحريدَ لا يختصُّ ببحرٍ دونَ بحرٍ ، ويُعدُّ من عيوبِ القافيةِ ، والإقعادُ يختصُّ بالكاملِ ، ولا يصحُّ عدُّه من عيوبِها ، بل من عيوبِ غيرِها » اهـ

هذا هو المعتمدُ عند أهل العروضِ ، وأما ما ذكرَه التنوخي من أنَّ الإقعادَ لا يخصُّ الكاملَ ، وأوردَ له أمثلةً من بحورٍ أخرى ، فيمكنُ أنْ يُقالَ : إنَّ هذا من بابِ التجميعِ لا الإقعادِ ، والتجميعُ هو تهيئةُ المصراعِ الأول للتصريعِ بقافيةٍ ، ثم يأتي المصراعُ الثاني بقافيةٍ أخرى ، فالشاعرُ في قوله :

جزَى اللهُ عَبْـسًا عَبْـسَ آلِ بَغِيضٍ جزَاءَ الكِلابِ العَاوِيَاتِ وقَدْ فَعَلْ

قدْ تَركَ القبضَ الواجبَ في العروضِ ، وجاءَ بها محذوفةً لأجْلِ أنْ تكونَ مثلَ ضربٍ محذوفٍ يأتِي بعدَها ، فعَنَّ له بعَد ذلكَ أنْ يأتيَ بضربٍ مقبوضٍ قافِيَتُهُ ليستْ على قافيةِ العروضِ ، فقالَ ما تقدَّم ، وهذا نادرٌ ، وهو معيبٌ ، وغالبًا ما يكونُ هذا في المطلعِ ، أو حينما ينتقلُ الشاعرُ من غرضٍ إلى آخرَ ؛ أيْ في الموضعِ الذي يحسنُ فيه التصريعُ ، ومثلُ هذا البيتِ يسمَّى مُجمعًا ، وأمَّا الإقعادُ فلا يكونُ في مثلِ هذا الموضعِ ، وإنما يكونُ في غيرِ المطلع .

وهذا التَّوجيهُ اجتهادٌ منِّي ، وهو يحتملُ الخطأَ قبل الصَّوابِ ، وإن كانتِ المحصلةُ واحدةً ، وهي أنَّ العروضَ قدْ تنوَّعت في موضعِ الإفرادِ ولا تصريعَ » انتهَى كلامُه – حفظه الله – .

المتوفي أم المتوفى؟

محمد تبركان

(مَقَالٌ مُسْتَلٌّ مِنْ حَلْقَةِ فِقْهِ اللُّغَةِ وَمَعَانِيهَا)

« المتوفِّي » أم « المتوفَّى » ؟

مِن سِلسلةِ (إيقاظ الوَسْنَان [1] مِن زلَّاتِ اللِّسان)

هل الصَّحيحُ أن يُقالَ للميِّتِ « الـمُتَوَفِّي » بكَسرِ الفاءِ الـمشدَّدةِ وبعدَها يـاءٌ ، أو يُقالُ « المُتَوَفَّى » بفَتحِ الفاءِ مُشدَّدةً بعدَها أَلِفٌ مَقصورةٌ ؟

(١) الوَسْنانُ هو النَّعْسانِ ، وزنًا ومعنًى ، جاء في (لِسانِ العَربِ ١٣ / ٤٤٩ – و س ن) : « قالَ الله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ ، أَي : لا يأْخذه نُعاسٌ ، ولا نومٌ ، وتأْويلُه : أَنَّه لا يَغْفُل عن تَدبيرِ أَمرِ الخلْقِ ، تعالى وتَقَدَّسَ . والسِّنَةُ : النُّـعَاسُ من غير نومٍ ، والسِّنَةُ : نُعاسٌ يبدأُ في الرَّأْس ، فإِذا صار إِلى القلب فهو نومٌ ، وفي الحديث : « وتُوقِظ الوَسْنانَ » ، أَي : النَّائمَ الَّذي ليس بمُسْتَغْرِقٍ في نَومِه ، والوَسَنُ : أَوَّلُ النَّومِ ... قالَ ابنُ سِيدَهْ : السِّنَةُ والوَسْنَةُ والوَسَنُ : ثَقْلَةُ النَّومِ ، وقيلَ : النُّعاسُ ، وهو أَوَّلُ النَّومِ . ووَسِنَ فلانٌ إِذا أَخذته سِنَةُ النُّعاسِ ، وامرأَةٌ وَسْنَى ووَسْنانةٌ : فاتِرةُ الطَّرْفِ ، شُبِّهت بِالـمرأَةِ الوَسْنَى من النَّومِ ، وقال عديُّ بنُ الرِّقاعِ :

وَسْنانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ في عَيْنِـهِ سِـنَـةٌ وليـسَ بنـائِـمِ

ففرَّق بين السِّنَةِ والنّومِ ، ووَسِنَ الرَّجلُ يَوْسَنُ وَسَنًا ، وسِنَةً ، إِذا نامَ نومةً خفيفةً فهو وَسِنٌ » اهـ بتصرُّف

* أمَّا الأوَّلُ :

فهوَ على صِيغةِ اسمِ الفاعلِ – مِن غيرِ الفِعلِ الثُّلاثيِّ – [٢] : وهو اللهُ سُبحانَه وتعالَى ، الَّذي يَتوفَّى الأَنفُسَ حينَ مَوتِها . قال عزَّ شأنُه : ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَـمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الـمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [سورة الزمر – الآية : ٤٢]

* وأمّا الثَّاني :

فهوَ على صِيغةِ اسمِ المفعولِ – مِن غيرِ الفِعلِ الثُّلاثيِّ – [٣] : وهو الإنسانُ ، الَّذي استَوفَى اللهُ عزَّ وجلَّ مُدَّةَ حياتِه ، فلم يَبْقَ له مِنها شيءٌ ؛ فحَلَّ أَجلُه لِانقضاءِ عُمْرِه .

ذا هو الفارِقُ بينَ اللَّفظتَينِ في لِسانِ العَربِ ، وبينَهما مِن التَّبايُنِ في الدَّلالةِ ما علِمتَ مِن التَّبايُنِ بينَ الخالقِ ، والمخلوقِ . وعليه ؛ فاحذَرْ زَلَّةً مِن لَحْمَةٍ بينَ شِدقَيْنِ تَجمع في رَسْمِها بينَ دَلالتَينِ .

(٢) يُصاغُ اسمُ الفاعِلِ مِن غيرِ الثُّلاثيِّ على وَزنِ مُضارِعِه المبنيِّ للمَجهولِ ، بإبدالِ حَرفِ المضارَعةِ ميمًا مَضمومةً ، وكَسرِ ما قَبلَ آخرِه ، نَحو : تَوَفَّى يَتَوَفَّى مُتَوَفٍّي أو مُتَوفٌّ . انظر : (ملحق دُرَّة الغوَّاص – ص٢٩٠ هامش١) .

(٣) يُصاغُ اسمُ المفعولِ مِن غيرِ الثُّلاثيِّ على وَزنِ مُضارِعِه المبنيِّ للمَجهولِ ، بإبدالِ حَرفِ المضارَعةِ ميمًا مَضمومةً ، وفَتحِ ما قبلَ آخرِه ، نحو : تُوفِّيَ يُتَوَفَّى مُتَوَفًّى . انظر : (ملحق دُرَّة الغوَّاص – ص٢٩٠ هامش٣) .

وقد وَقعتْ فيهِ لَطائفُ يَحسُنُ إيرادُها ، ومِنهَا :

- حُكِيَ [٤] أنَّ بَعضَهم حَضرَ جَنـازةً ، فسألَه بَعضُ الفُضلاءِ ، وقالَ : « مَنِ المُتَوَفِّي ؟ » – بكَسر الفاءِ [المُشدَّدةِ] – فقالَ : « الله » ، فأنكرَ ذلكَ ، إلى أن بُيِّنَ له الغَلطُ . وقالَ : « قُلْ : مَنِ المُتَوَفَّى » – بفَتحِ الفاءِ [المُشَدَّدَةِ] – . وبعضُهم يَذكُر أنَّ المسؤولَ هو : عليُّ بن أبي طالبٍ رضيَ الله عنهُ .
- وممَّا يُذكَرُ في هذا السِّياقِ كذلكَ : ما رواه أَحدُ اللُّغويِّينَ قالَ : « مَررتُ في طَريقي فَرأيتُ جَنازةً تُشَيَّعُ، وسَمعتُ رَجلًا يسألُ : « مَنِ المُتَوَفِّي ؟ » بالياءِ ، فقلتُ له : « الله سُبحانَه و تعالَى » ؛ فضُرِبتُ حتَّى كِدْتُ أَموتُ . [٥]
- ومرَّ رَجلٌ بدارِ ميِّتٍ فقالَ : « مَنِ المُتَوَفِّي ؟ » فقالَ له رجلٌ : « الله » . فقالَ له : « يا كافرُ ! الله يَموتُ ؟» فقالَ : « لعلَّكَ تُرِيدُ المُتَوَفَّى ؟ » [٦]

(٤) نَقلًا عن (مُعجَم المناهي اللَّفظيَّةِ – ص٤٩٢) . وانظُره في (مَحاضراتِ الأُدباءِ : ١ / ١ / ٦٦) ، و(الوافي بِالوَفَياتِ – المقدِّمة – الفصل الثَّامن) .

(٥) انظر : (دُرَّة الغوَّاص – ص٢٩٠) .

(٦) (مُحاضَرات الأُدباءِ : ١ / ١ / ٦٦) .

هذا ، وقد أَجازَ صاحِبُ (مُعجَمِ الأَخطاءِ الشَّائعةِ) – على مَضَضٍ – أن يُقالَ : تَوَفَّى فُلانٌ – والتَّسليمُ بِهذا التَّركيبِ اللُّغويِّ يَعني الإقرارَ بِجَوازِ أَن يُقالَ لِلإنسانِ المَيِّتِ : المُتَوَفِّي ! – وكان اعتمادُه في ذَلك على أَمرَينِ :

١. أنَّ عَليًّا رضي الله عنهُ قرأَ قولَه تعالَى في سُورة البقرةِ : ﴿ وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ ﴾ [الآية : ٢٣٤] بِالبناءِ للفاعلِ .

٢. وأنَّ الوَجهَ في تَخطِئةِ العامِّي كونُه لَيس مِن أَهلِ القَصدِ والتَّأويلِ ، أي : أنَّ عليًّا رضي الله عنهُ – في القِصَّةِ السَّابقةِ الذِّكرِ – حدَّثَ السَّائلَ بما يَقْتضيهِ الحالُ ، وما يَسْتوعِبُه لُبُّه . (٧)

والجوابُ عن ذلكَ ما يلي :

* أمَّا الأوَّل : فَالجوابُ عنهُ :

أنَّ مَعنَى الآيةِ الكريمةِ على قراءةِ البناءِ للمَعلومِ هو : استِيفاءُ الأَجلِ ، والفِعلُ (تَوَفَّى)

(٧) انظر : (مُعجَمَ الأَخطاءِ الشَّائعةِ – ص ٧٢١) .

هو مِن تَوْفِيَةِ العَدَدِ ، وليس مِن الوَفاةِ ، يَدُلُّ على ذلكَ :

١. ما جاءَ في مُلحق (دُرَّة الغوَّاص – ص٢٩٠) : « قول مَنظورٍ الوبريِّ [٨] :

إِنَّ بَنِي الأَدْرَدِ لَيْسُوا مِنْ أَحَدْ وَلاَ تَوَفَّاهُـمْ قُرَيشٌ فِي العَـدَدْ

ونَظيرُه قولُه تعالَى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّـٰكُمْ مَلَكُ الموْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة السَّجدة – الآية : ١١] [٩] ، وهو مِن تَوْفِيَةِ العَدَدِ ، وليس مِن الوَفاةِ ، أي يَقبضُ أَرواحَكم أَجـمعينَ بأَمرِ ربِّه ، فلا يَنقُصُ واحدًا منكـم ، كأنْ تَقـولَ : « تَوَفَّيْتُ مِن فلانٍ مالي واستَوْفَيْتُهُ » ، أي : لم يَبْقَ لي عليهِ شيءٌ منه » اهـ

٢. وقال في (المعجَمِ الوَسيطِ – ص١٠٤٧) : « تَوَفَّى ... فُلانٌ حَقَّه : أَخذَه وافِيًا . ويُقالُ : تَوَفَّيْتُ منه مالي : لم يَبْقَ عليهِ منهُ شيءٌ . و [تَوَفَّى] المُدَّة : بَلَغَها واسْتَكْمَلَها . و [تَوَفَّى] عَدَدَ القومِ : عَدَّهَم كُلَّهُم » اهـ

٣. وقال العَـلَّامة بكرُ بنُ عبدِ الله أبو زَيدٍ رحـمـه الله تعالى في (مُعجَمِ الـمَناهِي اللَّفظيَّةِ – ص٤٩٢) : « وفي قولِه تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ ﴾ قِراءتانِ ، بالبناءِ للمَعلومِ وللمَجهولِ . وأنَّها على قراءةِ المَبنيِّ للمَعلومِ ﴿ يَتَوَفَّوْنَ ﴾ بمَعنَى :

(٨) انظر : (لِسانَ العَربِ (١٥ / ٤٠٠ – و ف ي) .

(٩) وَقعَ في هذا الموضعِ خطأٌ غيرُ مَقصودٍ مِن المحقِّقِ ؛ حيثُ أحالَ إلى سُورةِ (فُصِّلت) بدلَ (السَّجدةِ) .

اسْتِيفَاءِ الأَجلِ . قالَه ابنُ النَّحَّاسِ [١٠] وغيرُه . والله أعلمُ » اهـ

❊ ❊ ❊

❊ وأمَّا الثَّاني فالجوابُ عنهُ :

١. أنّ الرِّوايةَ وَردَ فيها أنَّ السَّائلَ « بَعضُ الفُضلاءِ » ، فلا يُمكِنُ اعتبارُه مِن عوامِّ النَّاس .

٢. وأنَّ الأصلَ في الكَلامِ أن يُحمَلَ على حَقيقتِه ، وذلكَ باعتبارِ ما بَدرَ منهُ تَقْوِيمًا لِلسانِ ذاكَ الرَّجلِ الفاضلِ . وأمّا العُدولُ به إلى ضَربٍ من التَّأويلِ فليسَ يُقبلُ إلَّا إذا دلَّ عليه المقامُ ، أو بَعضُ قَرائنِ الأحوالِ .

وللعَلَّامةِ الألبانيِّ [١١] التفاتةٌ طيِّبةٌ ، وتَأصيلٌ شَرعيٌّ لهذه المسألةِ ، قال رحمه الله تعالى : « فُلانٌ تَوَفَّى : أي استَوفى أَجلَه . وخَيرٌ منه أن يُقالَ : فُلانٌ تَوَفَّاهُ الله ؛ لأنَّ الأوَّلَ فيه إيهامٌ ، والكَلامُ مِن المُوهِماتِ ليسَ مِن أَدبِ الإسلامِ ، وهو يَحتاجُ إلى تأويلٍ ، والكَلامُ المُؤوَّلُ لا حاجةَ إليه ما دامَ أنَّ في الكَلامِ سَعَةً في التَّعبيرِ

(١٠) في (معاني القرآن : ١ / ٢٢٢) .

(١١) سِلسلة الهدَى والنُّور : شَريط سَمْعي بعنوان : حُكم الأَذانِ . رقم ٩٢/ الوجه الأوَّل .

السَّليمِ . قال عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام : « لا تَكَلَّمَنَّ بِكَلاَمٍ تَعْتَذِرُ بِهِ عِندَ النَّاسِ » اهـ[١٢]

❊ ❊ ❊

(١٢) الحديثُ فِي السِّلسلةِ الصَّحيحةِ (١ / ٢ / ٧٥٨ رقم ٤٠١) .

وللاستزادةِ في المسألةِ يُراجَع :

١. (أخطاءٌ ألِفناها – ص١٨٥) .

٢. (أخطاءٌ شائعةٌ) للنّتيقي سليمان بن عبد الله ، المجموعة الخامسة .

٣. (أساسُ البَلاغة – ص٥٠٥) .

٤. (الإعلانُ بالتَّوبيخِ لمن ذمَّ التَّأريخ – ص ٤٦) .

٥. (تَطهيرُ اللُّغةِ مِن الأخطاءِ الشَّائعةِ – ص٢٠ رقم ٣٣) .

٦. (دُرَّةُ الغوَّاصِ – ص٢٨٩ – ٢٩٠ رقم ٣٣ / الملحق) .

٧. (الصَّحاح : ٢ / ٧٤١ – مادة : وفى)

٨. (غَريبُ القُرآن – ص٢٢١) .

٩. (لِسانُ العَربِ : ١٥ / ٤٠٠) .

١٠. (مُختارُ الصَّحاحِ – ص٧٣١) .

١١. (مُعجَمُ الأخطاءِ الشَّائعةِ – ص٢٧١ رقم ١١٦٥) .

١٢. (المعجمُ الوَسيطُ – ص١٠٤٧ ع٣) .

أساء سمعا فأساء جابة

صالح الجسار

(مَقَالٌ مُسْتَلٌّ مِنْ حَلْقَةِ الأَدَبِ والأَخْبَارِ)

« أَساءَ سَمْعًا فَأَساءَ جابَة »

* قِصَّـةُ الـمَثَـلِ :

قالَ أبو عُبيد [1] : « قال الزُّبيرُ : وأصلُ هذا فيما أخبَرني به محمَّدُ بنُ سَلاَّم قالَ : كانَ لسُهيلِ بنِ عَمْرو ابنٌ مَضعوفٌ ، قالَ : فقالَ إنسانٌ يومًا : « أين أَمُّكَ ؟ » يُريدُ : أين تَؤُمُّ ؟ فظنَّ أنَّه يقولُ : أين أُمُّكَ ؟ قالَ : فحَسبتُه قالَ : « ذَهبَت تَشتري دقيقًا » ، فقالَ سُهيلٌ : « أَساءَ سَمْـعًا فأساءَ جَـابةً » ، فأرسلَها مَثلًا ، فلمَّـا انصرَف إلى زَوجَتِه

(١) (الأمثال لابنِ سَلَّام – ص٥٣) ، دار الـمأمون للتُّراث ، تحقيق : عبد المجيد قطـامش ، ط ١٤٠٠هـ ، و(جَـمهرَة الأمثالِ لأبـي هِلالٍ العَسـكريِّ : ١/ ٢٥) ، دار الفكر ، تحقيق : مـحمَّد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ، ط٢/ ١٩٨٨م ، و(لِسان العَرَب لابنِ مَنظُور : ١/ ٢٨٣) ، دار صادر .

* تنبيهٌ مهمٌّ :

علَّق الأستاذُ فيصلٌ المنصور – وفَّقه الله – على قولِه : « قالَ أبو عُبيدٍ » فقالَ : « هذا لَيسَ قولَ أبي عُبيدٍ ، وإنْ كانَ في كتابِه ، وإنَّما هو مِن الزِّياداتِ الَّتي ألحقَها تِلميذُه وكاتبُه عليُّ بنُ عبدِ العَزيزِ ، وكان قد عارضَ نُسختَه مِن الكتابِ بنُسخةِ أبي عُبيدٍ حرفًا حرفًا ، ثمَّ عرضَها علَى الزُّبيرِ بنِ بكَّارٍ ، وغيرِه ، فعلَّق على مَواضِعَ مِنها ، وأَقحمَها عليٌّ في الكِتابِ مَنسوبةً إليهِ » اهـ (هيئة التحرير)

أخبرَها بما قالَ ابنُها ، فقالَت : « أنتَ تُبغِضُه » . فقالَ : « أشْبَهَ امرؤٌ بَعْضَ بَزِّهِ » » اهـ[٢]

* شَرْحُ الـمَثَـلِ :

معنى المثل : أَنَّهُ أَسَاءَ السَّمْعَ وفَهِمَ الكَلامَ عَلَى غَيْرِ مَا يُرَادُ بِهِ ، فَأَجَابَ إجَابَةً لا تَمُتُّ لسُؤَالِ السَّائِلِ بِصِلَةٍ ، بَلْ هِيَ جَوَابٌ لأَمْرٍ آخَرَ . قَالَ الأَصْمَعِيُّ : مِنْ أَمْثَالِهِم في المُجِيبِ عَلَى غَيْرِ فَهْمٍ : أَسَاءَ سمعًا فأَسَاءَ جَابَةً .[٣]

* * *

* مَسْأَلَةٌ :

وَرَدَ في المثالِ : (جَابَةً) وليس : إِجَابَةً .

(٢) ذَكَرَ الـمَيدانيُّ هذه القصَّةَ في (مَجمعِ الأَمثالِ : ١/ ٣٣٠) [دار الـمعرفة ، تحقيق : محمَّد محيي الدِّين عبد الـحميد] باختلافٍ فقالَ – عِندَما كلَّم الأخنسُ ابنَ سُهيلٍ – : قالَ الأَخنَسُ : « حَيَّاكَ الله يا فَتى » ، قالَ – أي : الفَتى – : « لَا والله ، ما أُمِّي في البَيتِ ، انطلَقَت إلى أُمِّ حَنظلَةَ تَطحَنُ دقيقًا » ، ولم يَذكُر سُؤالَ الأَخنَسِ عندمَا قالَ : « أَينَ أُمُّكَ ؟ » أي : أَينَ تَؤُمُّ – كما تَقدَّم مَعنا – وهذه الرِّوايَةُ لا تَصِحُّ ، والصَّحيحُ كما ذكرَه ابنُ سَلَّامٍ وغيرُه .

(٣) (الأمثال لابنِ سَلَّام – ص٥٣) .

وقد عَقَدَ ابنُ قُتيبة بابًا في (أَدَبِ الكَاتِبِ) وسمَّاهُ : (باب ما لا يُهمَزُ والعَوَامُّ تَهْمِزُهُ) : فقال : « وَيُقال : « أساءَ سَمْعًا فَأساءَ جَابَةً » ، هكذا بِلا ألفٍ ، وهو اسمٌ بمَنزلةِ الطَّاقةِ والطَّاعةِ » اهـ(٤)

قالَ أبو عُبَيْدٍ : « هكذا تُحكَى هذه الكلمةُ (جابَة) بغَيرِ ألفٍ ، وذلك لأنَّه اسمٌ موضوعٌ ، يقالُ : « أجابَني فُلانٌ جابةً حَسنةً » ، فإذا أرادُوا المصدَرَ قالُوا : « أَجابَ إجابةً » ، بالألفِ » اهـ(٥)

وقَالَ ابنُ فَارِس : « ويقولون في مَثَلٍ : « أساءَ سَمْعًا فَأساءَ جَابَةً » ، وقال الكميتُ لقُضاعةَ في تحوُّلِهم إلى اليَمَنِ :

وما مَنْ تَهتِفينَ لــه بِنَصْرٍ بِأسْرَعَ جابَةً لكِ مِنْ هَدِيلِ » اهـ(٦)

قال الأَزْهَرِيُّ : « قال أبو الهيثَم : (جابةٌ) اسمٌ يقوم مقامَ المصدَرِ ، وهو كقولِهم : « المالُ عارَةٌ »، و« أطعتُهُ طاعةً » ، و« ما أُطيق هذا الأمر طاقَةً » ، فالإجابة مصدرٌ

(٤) (أَدَب الكاتِب لابنِ قُتيبةَ – ص٢٨٦) ، المكتبة التِّجاريَّة ، تحقيق : محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد .

(٥) (الأمثال لابنِ سَلَّام – ص٥٣) .

(٦) (مَقاييس اللُّغة لابنِ فارِسٍ : ١/ ٤٩١-٤٩٢) ، دار الفكر ، تحقيق : عبد السَّلام هارون .

حقيقيٌّ ، والجابةُ اسمٌ ، وكذلك الجوابُ ، وكلاهما يقومان مقَامَ المصدَر » اهـ[٧]

وقَالَ الزَّبِيديُّ : « وقال كُراع : (الجَابةُ) : مصْدرٌ كالإِجابةِ ، قال أَبو الهَيْثَم : جابةٌ اسْمٌ يقُومُ مَقَام المصْدَر » اهـ[٨]

قلتُ : لقد ذكر ابنُ قُتيبةَ – كما تقدَّم – أنَّ العوامَّ تهمزُ (جَابةً) في هذا المثلِ ، فيقولون : « أساء سمعًا فأساء إجابةً » فهذا لحنٌ[٩] ولا يَصِحُّ هَمْزُهُ في هذا المثلِ ؛ لأنَّ

(٧) (تَهذيب اللُّغة للأزهريِّ : ١١/ ١٤٨) ، دار إحياء التُّراث العربيِّ ، تحقيق : محمَّد عوض مرعب .

(٨) (تاج العَروسِ مِن جَواهِرِ القاموسِ للزَّبيديِّ : ٢/ ٢٠٣) ، دار الهداية ، مجموعة محقِّقين .

(٩) سألتُ شيخَنا الدُّكتور سُليمان خاطِر عن لَفظِ (إجابةٍ) في هذا المثلِ ، فأخبرني أنَّه لَحنٌ ، وهو ممَّا تَلحَنُ فيه العامَّةُ .

قلتُ : وعِندَ قِراءَتي لكتابِ (التَّطوُّر اللُّغوي : مَظاهرُه وعِللُه وقوانينُه) للدُّكتور رَمضان عبد التَّوَّاب وَجدتُ كلامًا له صِلةٌ بهذا الموضوعِ ، قال (ص٧٤) : « ومِن الحذفِ لِكَراهةِ تَوَالي الأمثالِ كذلكَ قولُهم : (ظَنْت) و(ظَلْت) في لُغةِ سُليمٍ ، ومنه في الـمَثلِ : « أساءَ سَمعًا فأساءَ جابةً » ، بَدلًا مِن أساءَ إجابةً » اهـ

وأحالَ في الحاشيةِ إلى مَصادِرَ منها : (شَرحُ ما يقعُ فيه التَّصحيفُ) لأبي أحمدَ الحسنِ بنِ عبدِ الله العسكريِّ فبَحثتُ عنه ولم أَجِدْهُ ، وقدَّرَ اللهُ أنْ أقعَ على كتابِ (أَخبارِ المُصَحِّفِينَ) لأبي أحمدَ العسكريِّ ، فقد ذكرَ المثلَ الَّذي ذَكَرنا ، ونَقلَ مُحَقِّقُ الكتابِ إبراهيمُ صالح كلامَ العسكريِّ في (شرحِ ما يقعُ فيه التَّصحيفُ) فقالَ : « تَقولُ العربُ في مَثلٍ : « أساءَ سمعًا فأساءَ جابةً » ، (أساءَ) ممدودٌ ، وليس في أوَّلِ (جابةً) ألفٌ ، هكذا =

صَاحِبَ المثَلِ أرادَ الاسمَ هُنا فَقَالَ : « ... فأساء جابةً » ، ولم يُرِد المصدَرَ ، وإذا أَرَدْتَ المصْدَرَ تَقُولُ : أَجَابَ إجَابةً - كما ذَكَرَ أبو عبيدٍ في كَلامِه السَّابِقِ - فَيَتَّضِحُ لَنَا أنَّ لَفْظَ المَثَلِ الصَّحِيحِ هُو : « أَسَاءَ سمعًا فأَسَاءَ جابةً » وأنَّ مَنْ قَالَ : « إجابَةً » في هذا المثَلِ فقد أخطأ ، والله أعلمُ .

❊ ❊ ❊

= المثلُ ، لا يُجَاوزُ به ما تكلَّمتْ به العَربُ ، ولكن يُقالُ في الكَلامِ : الجوابُ ، والإجابةُ ، والجِيبَةُ ، والجابةُ ، ولو قيلَ في الكلامِ فأساءَ إجابةً ، أو جوابًا لكانَ صوابًا ، ولكنَّ الأمثالَ تُحكى » اهـ

إبداعات أدبية

(مُسْتَلَّةٌ مِنْ حَلْقَةِ الأَدَبِ والأَخْبَارِ)

صُبحُ الذُّل

للشَّـاعر عـلي الـمـعشي

أَجيبي وَيْبَ أُمِّكِ ما دَهـاكِ ؟ * لِـماذا تَضحَكينَ بِحِـضنِ باكِ ؟

بِربِّـكِ يـابْنـةَ العامَيـنِ حقًّـا * أَأَجفانُ الظِّـبا شَغَلَـتْ أَبـاكِ ؟

أمِ الـخَيلُ الَّتي صَهَــلَتْ بِسُوءٍ * ويُوشِكُ أَن تُغـيرَ عَلى حِـماكِ ؟

أمِ اليَـومُ الَّذي يَقْـتـاتُ أَمْسي * ويَهْـوي كَالصَّريــعِ بِـلا حَــراكِ

فَلَمْ يَسْطِـعْ بِغُصَّـتِـهِ نُهـوضًـا * إِلى غَــدِهِ فبُشِّــرَ بِالهَــلاكِ ؟

عِجافُ سِنينِنا أَكَلَتْ سِـمانًـا * مِنَ الأَمجـادِ في زَمَــنِ التَّـباكي

سَرَى بِــكِ أُمَّتي لِلْعِـزِّ لَيْـلٌ * وصُبـحُ الذُّلِّ لَمْ يَحـمَدْ سُــراكِ

أَرى أُمَمًــا تَسَـابَـقُ لِلْمَـعالي * بِأَجنِـحَـةِ العُلــومِ ولا أَراكِ !

لَعَمْرُ أَبي لَقَـدْ ذَرَعُـوكِ أَرْضًـا * وطَـيْرُهُــمُ تُحَلِّــقَ في سَمــاكِ

وقَدْ شَكَلَتْ بَنِيكِ حِبالُ خُلْفٍ * زَعَمْنا أَنَّ مُبرِمَها عِداكِ

نُحمِّل عَجْزَنا كَيْدَ الأَعادي * نَصوغُ خُنوعَنا بِلِسانِ شاكِ

هَبي أَنَّ العِدا خَدَعوكِ يَوْمًا * وبِاسْتِعْمارِهِمْ فَصَموا عُراكِ

فَماذا بَعْدَ ما رَحَلوا ؟ وَمَنْ ذا * عَنِ الحُلُمِ التَّوَحُّدِ قَدْ نَهاكِ ؟

أَلَيْسَ مَقاعِدُ الخُيَلاءِ تَأْبَى * سِوى غَرْسِ التَّشَرْذُمِ في حَشاكِ ؟

سَقتْ مِنْ مُعْصِراتِكِ كُلَّ أَرْضٍ * وَمِن هَتَّانِها حُرِمَتْ رُباكِ !

وَكَمْ بِسَمائِنا زُجِرتْ نُجومٌ * وأدرَكَ فَضْلَهُنَّ مَنِ ازْدَراكِ

فَصادَ ضِياءَها بِفُضُولِ مالٍ * بَخِلْتِ بِمِثْلِهِ فَسَجا دُجاكِ

أَفيقي أُمَّتي وَكَفى سُباتًا * وَلُمِّي ما تَبَعْثَرَ مِنْ قُواكِ

وَلا تَأْوي إِلى سُرُجٍ أَضاءَتْ * بِزَيتٍ لَيْسَ تَعْصِرُه يداكِ

لَعَمْرُكِ إِنْ حُكِكْتِ بِظُفْرِ سَبعٍ * فَما مِن نابِهِ لكِ مِن فِكاكِ !

شركات المقاولات

للشَّاعر صالح العَمْريِّ

دَعوا الـحفرَ إمّا شِئتمُ صُلحَ بينِنا * فذلك أدنى أن نكُـفَّ ونَغـفِرا

وإلَّا فلا تَلووا على الوَصـلِ بعـدَما * أرمَّت قُوى حبـلٍ فأصبـحَ أَبـتَرا

فـإن يَتشـظَّ اليـومَ ما كانَ بيـنَنا * فسـوفَ نُولِّي اللَّـومَ من كانَ أفجَرا

أما تتَّـقـونَ الدَّهرَ مِـنَّا محـارِمًا * لقـد كَثُرَت عِلَّاتُكم آلَ (يَحْـفِرا)

فيـا وَيلَـكم أَدلُـوا بعُـذرٍ فإنَّـني * أخافُ عليـكُم أن أَثـورَ فأَعـقِرا

أخافُ عليكُم ضغمَ نابَي ضُبارِمٍ * ومِثـليَ أَبـلى في العَـدوِّ وأَعـذَرا

ومِثـليَ إن أَلـقى على القِـرنِ بَركَـه * فإنَّ رَحاه تَطحَنُ الـحَبَّ أَخضَرا [1]

(١) الرَّحى هنا كَركرةُ البَعيرِ ، والبَركُ صَدرُه ، بفَتحِ الباءِ ، فإذا أضفتَ الهاءَ كسرتَ الباءَ فقلتَ : بِركة . قالَ الحارثُ بن همَّام وهي في (حماسةِ أبي تـمَّـام) : =

وما كنتُ كرَّارًا على القِرنِ في الوَغى * وهـل كانَ فَـرٌّ كي أكُرَّ وأَعـكِرا

ولن يَغلِبَ الضِّرغـامةَ الدَّهرَ بُهمةٌ * إذا حَمـلـقَ الضِّرغـامُ فيـهِ تَقـطَّرا

فَهَبْكمْ أَمِنتُمْ صَولةَ اللَّيثِ مُخدِرًا * فهل تَأمنونَ اللَّيثَ إن كانَ مُصحِرا (٢)

عَهِـدتكـمُ لا تَنثـنُونَ لِزاجـرٍ * سأزجرُكم يا آلَ (يَحْـفِرَ) مُزجَـرا

سأَصـلِـمُ آذانًا وأَخـلي مَعاصِـمًا * وأَجدَعُ آنـافًا وأَقـصِـمُ أَظـهُـرا

= وَتَلْقَـني يَشـتَـدُّ بـي أَجـرَدٌ مُستـقْـدم البِركَـةِ كالرَّاكِـبِ

ومثلها رَجل ورِجلةٌ ، وهم الرجَّالةُ .

فإذا علمتَ ذلك لـم يُشكِل عليكَ إضافةُ الرَّحَى إلى البَركِ .

(٢) يُقالُ : أَخدرَ الأسدُ إذا لَزِمَ خِدرَه وأقامَ ، فهو مُخدرٌ . ويُقالُ : أَصحَر القومُ إذا بَرزوا إلى فَضاءٍ لا يُوارِيهم شيءٌ . قالَ قَيسُ بنُ رِفاعةَ وهي في (حَماسةِ البُحتريِّ) :

مَن كانَ في نَفسِهِ حَوجاءُ يَطلُبُها عِندِي فإنِّـي لهُ رَهـنٌ بإِصحارِ

أي : أَبرُز له ولا أَستترُ ولا أَتوارَى .

والمعنَى : أنكم قد تُعذَرون إذا أَمِنتم صولةَ اللَّيثِ عليكم وهو في خِدرِه ، أمَّا إذا بَرزَ لكم وأَصحَر فإنَّ صِيالَه عليكم غَيرُ مأمونٍ .

سَأذكُرُ أَوجــارًا وأَذكرُ حَفــرَهـا * وما كنتُ أَخشَى أن تَصـيدَ وتَحفرا

فتِـلكَ الَّتي ما عَرْقَبـتْ أُمَّ فَـرقَـدٍ * ولا عَرْقَبـتْ عَـيراً أَقبَّ عَشَنْزَرا

ولـكِنْ كبيرًا حَوقـلًا شاخَ حِقـبةً * وعَــوَّد دَهـرًا ثمَّ زادَ فأَقْحَـرا [٣]

فـذلك صَيدٌ لا تُسيـغـونَ لَـحـمَه * ولا تَجـبُرونَ العَظـمَ منـهُ فيُجـبَرا

(٣) العَودُ : – بفَتحِ العَينِ – البَعيرُ المسنُّ ، وقد عوَّد تَعويدًا إذا صارَ عَودًا ، فإذا ارتفعَ عن ذلك – أي كَبِر – فهو قَحرٌ .

والمعنَى : أنَّ هذه الحفرَ كالأَوجارِ ، واحدُها وَجر ، وهي حُفرةٌ تُحفرُ للوَحشِ إذا مرَّت بها عَرقَبْتها ، بيدَ أنَّ أوجارَ هؤلاءِ لم تُعرقِبْ أُمَّ فَرقدٍ وهي البَقرةُ الوحشيَّـةُ ، ولا عَيرًا وهو الحمارُ الوَحشيُّ ، بل عَرقَبتْ شيخًا كبيرًا أفنَى ثلاثَ عمائمَ ألوانًا .

وقد خَفِيَ مثلُ هذا على أبي فِهرٍ والميمنيِّ رحمهما الله – ولا يعيبُهما ذلك – في تَحقيقِهما لكتابِ (الوَحشيَّات) عندَ قَولِ أبي كدراءَ العِجليِّ :

ولَستُ بقَانصٍ فأَدُسَّ وَجْرًا خِلالَ الـماءِ في قَصَبٍ وطِينِ

فأثبتاهُ (وَحرًا) بالحاء ، واستدركَه صاحبُهما يُوسف ، فارجِع إلى تَعليقِهم على ذلكَ الموضِعِ .

قال العجَّاجُ – والدُ رُؤبةَ – في أُرجوزَتِه الرائعةِ يَصفُ الأتنَ وجَأبَها لـمَّا وَردت الماءَ :

* وَخَافَتِ الرَّامِينَ والأَوجَارَا *

متى تَجبرُوه لا يُفارِقْهُ عَـثـمُه * فيالكَ عَـثـمًا ما أشدَّ وأَعسَرا

وإنِّي لأَخشى أنَّ حالَ لِسانِكمْ * (بِهِ لَا بِظَبيٍ بِالصَّريمَةِ أَعفَرا)

فَلستُمْ عليهِ إذْ تَردَّى لوَجهِهِ * تَردِّيَهُ منَّا عليكُمْ بأَقدَرا

إذا ما طلَبْناكمْ بذحلٍ رَبَعتمُ * علينا إلى أن نَستَقيدَ ونَثأَرا

وكم زَعِلٍ منكُمْ يَسيلُ رُؤالُه * إذا ثوَّب الدَّاعي لِحَفرٍ تَمطَّرا

فلمَّا أردناكُمْ لدَفنٍ قَعدتُمُ * كما انتبذَ المهرورُ يومًا ليَقطُرا

فما كُنتمُ كالهِرِّ يَغذُو بِبَولِه * ويَحثي عليهِ التُّربَ بَعدُ ليَستُرا

وماذا عليكُمْ لو تركتُمْ أَذاتَنا * أليس اطِّراحُ الشَّرِّ أجدَى وأجدَرا

فلو أنَّكمْ أَعلَيتمُ وبَنيتمُ * إذًا لَنَسينا ما هَوى وتَدَعثَرا

إذا كنتَ تَشأَى ثمَّ لا تَرأَبُ الثَّأَى * فلن يلبَثَ المَثـئِيُّ أن يَتكسَّرا

جَمرات في رياح الزَّمن

للشَّاعر محمَّد خليل الزَّرُّوق

يا أَيُّـها الزَّمَنُ الـماضي لِـوِجْـهَـتِـهِ * اِرْجِـعْ بـنا يَومَ كُـنَّـا قَـبلَ نَفْـتَرِقُ

حَـيثُ الأَمـانِيُّ سَكْرَى لا تُفيقُ بِـنا * وَنَحنُ في إِثْرِهـا ماضـونَ نَسْـتَبِقُ

لا شَيءَ يُقْـلِـقُـنا إِلَّا تَـباعُـدُهـا * لَـكِـنَّـنا في جَـدَا ميـعـادِها نَثِـقُ

لَو أَيقـنَتْ أَنَّـه لا رَجْعَ تَـأْمُـلُـهُ * مِنها لَـمَا ادَّخَرَتْ مِن دَمْعِـها الْحَـدَقُ

يومٌ ويومٌ ، وشـهرٌ بعـده سنـةٌ * وَبَعْـدَها سَنَـواتٌ ، طالَتِ الْحِـلَقُ

لا ذِكْرُكُم يَمَّـحي مِن خاطِري أَبَـدًا * وَلا تَمَـهَّدَتِ الأَسـبابُ وَالطُّـرُقُ

ما زِلْتُـمُ في دَمي شَـوقًا يُـؤَرِّقُـني * فَلا عَدِمْـتُـكَ يَومًـا أَيُّـها الأَرَقُ

ولَم يَزَلْ طَيفُك الـمَعشوقُ يَـطرُقُـني * وإِن نَظَرْتُ فَمِـنْـهُ يُحـجَـبُ الأُفُـقُ

وإِن تَسمَّـعْتُ أَسْمَـعْ مِنك وَسْـوَسَـةً * وإِن تَنفَّـسْتُ ضاعَ الطِّيبُ وَالعَبَـقُ

وإِن تَكلَّمْتُ راقَبْتُ الحَديثَ عَسَى * أن لا يُزِلَّ لِساني بِالهَوى النَّزَقُ

وإِن شَرِبْتُ أُراعي مَن يَقولُ عَسَى * أَن لا يَجيءَ بِذِكرٍ عِنْدَهُ الشَّرَقُ

وإِن مَشَيتُ تَصفَّحْتُ الوُجوهَ عَسَى * أَن يُبْدِيَ الدَّرْبُ وَجْهًا شِبْهُهُ الفَلَقُ

كُلُّ النُّفوسِ جَميعٌ في أَماكِنِها * ونَفْسُ هَذا الفَتَى مِن حُبِّكُم فِرَقُ

يا أَيُّها الزَّمَن الماضي لِوِجْهَتِهِ * في رِيحِ جَرْيك ما تَستَوقِدُ الْحُرَقُ

مَهلًا رُوَيدًا وإشفاقًا عليَّ ، فَفي * بُعْدِ الحَبيبِ وبُعْدِ العَهْدِ لي رَهَقُ

وَيْلي علَى ذلِكَ الحُسنِ الَّذي سُرِقَتْ * نَفْسي بِهِ العُمْرَ ، والمطلوبُ مَن سَرَقُوا

ذاكَ الشَّبابُ ، وذاكَ الدَّلُّ ، مُذْ بَعُدا * عنِّي ، وذاكَ الهَوى المَشبُوبُ يَأْتَلِقُ

ما كانَ ظنِّي أنَّ الحُسنَ أَجْمَعَهُ * والعَقلَ والسَّمْتَ في شَخْصٍ لَها نَسَقُ

والظَّرْفَ واللَّفظَ أَحْلاهُ وآنَقَهُ * ونَغْمةً غَضَّ مِنها المَنطِقُ اللَّبِقُ

في كلِّ يَومٍ جَديدٌ مِن تَشَوُّقِنَا * كأَنَّما هُو مَنقوصٌ لَه لَحَقُ

كأنَّــما بَــدْؤُهُ مُــذْ أَنَّـني عَـلَــقُ * وعُمْــرُه بَعــدَمـا روحي بِـهِ رَمَــقُ

يا أَيُّـها الزَّمَـن الـماضي لِـوِجْـهَـتِـهِ * قِفْ ، إنَّ مَوْجَكَ في تَـيَّــارِهِ الغَـرَقُ

هَـٰـذي حَـياتي أَبـاديــدٌ أُفَـرِّقُـهـا * روحي الـمُشرَّدُ لـم يَـهْـدَأْ بِهِ القَـلَقُ

قِفْ يَبْـحَثِ القَلْـبُ عمَّن كانَ بَلْبَـلَهُ * ومـا لَهُ غَــيرُه يَــرْضــاهُ أو يَـمِـقُ

ظَمْـآنُ أَسْوانُ مِن رَكْـضِ الزَّمـانِ بِنا * والمـاءُ عِـنـدَ حَبيـبي طَيِّـب غَــدَقُ

يَكفي الَّذي كانَ في عِـشرينَ تَعـرِفُها * مـاذا يُبَـقِّي لِقَـلْبي سَـيرُكَ العَـنَـقُ ؟

فلَـيسَ حِبِّي كأَحْبـابِ الأَنـامِ ، ولَا * عِشْقي لَهُ مِثلَ عِشْقِ النَّاس إذْ عَشِقُوا

قسوتِ عليه حتَّى تبعديه

للشَّاعر زيدٍ الأنصاريِّ

قَسـوتِ عَلـيهِ حتَّى تُبعـدِيهِ * ولَو أَنصَفْـتِه لـم تَهـجُـريهِ

وكَم حَـمَّلـتِه عِبـئًا ثَقـيلًا * تَناسـاهُ ولَكـنْ مـا نَسِـيهِ[1]

(١) * فائدةٌ :

علَّقت الأُستاذةُ عائشةُ – وفَّقها اللهُ تعالى – على قافيةِ هذا البَيتِ فقالَت : « يَجوزُ في الضَّرورةِ حَذفُ الفَتحةِ مِن آخرِ الفِعلِ الماضي ؛ كمـا في قَولِه :

* تَناساهُ وَلَـٰكِنْ ما نَسِيهِ *

قالَ ابنُ عصفورٍ في (ضَرائرِ الشِّعر – ص ٨٨) :

« وَمِنهُ : حَذفُهم الفَتحةَ مِن آخرِ الفِعلِ الماضي تَخفيفًا ... وحَذفُها مِن الفِعلِ المعتَلِّ اللَّامِ أَحسنُ مِن حذفِها مِن آخرِ الصَّحيحِ اللَّامِ ؛ نَحو قَولِ جريرٍ :

هُوَ الخَليفَةُ فَارْضَوا ما رَضِي لَكُمُ ماضي العَزيمَةِ ما في حُكْمِهِ جَنَفُ

وقَول الآخَرِ – أَنشدَهُ أَحمدُ بنُ يَحيى – :

لَيْتَ شِعْري إذا القِيامَةُ قامَتْ ودُعِي بِالحِـسابِ أَينَ المَصيرُ =

طَوى في قَلبِه المكلومِ حُبًّا * ووَجْدًا صادِقًا لم تَعلَمِيهِ

وظَنَّ بفِطرَةِ المُشتاقِ خَيرًا * بأنَّكِ لو جَفا لن تَخذُلِيهِ

أَضَعتِ شَبابَه وجَعَلتِ مِنهُ * مِثالًا لِلعواذِلِ تَزدَرِيهِ

جَفوتِ ورُبَّما كان التَّجافي * لهُ خَيرًا ولو لم تَقصِديهِ

ولي قَلبٌ رَقيقُ الطَّبعِ شَهمٌ * بَعيدُ الشَّأوِ فيما يَبتَغيهِ

رَأى في غَيهَبِ الأَحداثِ ربًّا * كَريمًا يَستَجيبُ لِسائِليهِ

فأَنشأَ في ظَلامِ اللَّيلِ يَدعو * بِصوتِ المُستَغيثِ بِمُنقِذيهِ

أَلَا وَقتٌ يُباعُ فأَشتَرِيهِ * لِأَجعلَ طاعةَ الرَّحمٰنِ فِيهِ

فَحقُّ اللهِ في الأَعناقِ فَرْضٌ * ولو أَخلَصتُ عُمرِي لا أَفيهِ

مَلأتُ صَحيفَتي إثمًا وظُلمًا * وضاعَ العُمرُ في لَهْوٍ وتِيهِ

وخَوفي أَن أرَى يَومًا عَصيبًا * يَفِرُّ المرءُ فيهِ مِن أَخيهِ

سَلي ما شِئتِ يا نَفسي فإنِّي * أَصَمُّ عن سُؤالِكِ لا أَعيهِ

فإنَّ جَوارِحي صارَتْ جَميعًا * لِرَبِّي أَتَّقيهِ وأَرتَجيهِ

هُو الشَّيطانُ زَيَّنَ لِلمَعاصي * طَريقًا فَاحذَري أَن تَسلُكيهِ

= يُريد : (دُعِيَ) . وقد جاءَ ذلكَ في سَعةِ الكَلامِ ؛ قَرأَ الحسَنُ : « وَذَرُوا مَا بَقِى مِنَ الرِّبَوَا » ، سَكَّن الياءَ ، إلَّا أنَّ ذلك شاذٌّ يُحفَظُ ، ولا يُقاسُ عليه » اهـ (هيئة التَّحرير)

ومَن يَجعَــلْه في الدُّنيـا إمامًـا * جَديـرٌ أن يُــلاقيَ مـا لَقِـيـهِ
ألَـم يُخـرِجْ أبـــانا مِن نَعـيمٍ * حَـوى كلَّ السُّرورِ لِنــاظِريـهِ
ومَن غيرُ الرَّحـيمِ لِمَن عَصـاهُ * يَتـوبُ علـيهِ ثُـمَّتَ يَجتَــبيهِ
وهاجَ الـموجُ وابتلَـعَ ابنَ نوحٍ * ومـا أنجـاهُ طَــودٌ يَعتَــليهِ
نَفاهُ الشِّركُ عَن نَسـبٍ شَريفٍ * وصــيَّرَهُ غَريـبًـا عَـن أبـيـهِ
طَـغى فِرعـونُ في أَنحــاءِ مِصرٍ * فَأفسَـدَ في البِــلادِ وســاكِنيهِ
يُذَبِّــحُ كالضَّـواري كلَّ طِفـلٍ * ولا يَأسُـــو أباهُ ولا يَـديــهِ
ويَستـحيِي النِّســاءَ ولا يُبـالي * كأنَّ النَّــاسَ شيءٌ يَمتَـطيهِ
وقـالَ بأنَّني المَعـبودُ فـيكُم * تَعـــالى اللهُ عـمَّــا يَدَّعــيهِ
ومـا أَطغى مُلـوكَ الـجَـوْرِ إلَّا * خُنوعُ النَّاسِ لِلـرَّأْيِ السَّفـيهِ
وصَخرٍ بالعَـصـا قَد ثـارَ مـاءً * تَفــجَّرَ كالفُـراتِ لِشـارِبـيهِ
وبحرٍ بالعَـصا قد عـادَ صَـخرًا * طريقًــا يابسًـا لا مــاءَ فيهِ
ولُطـفُ اللهِ نَـجَّى آلَ مـوسى (٢) * وأغــرَقَ فـيـهِ كلَّ مُخـالِفـيـهِ

(٢) * تنبيهٌ مهمٌّ :

علَّق الأستاذُ أبو إبراهيمَ – وفَّقه اللهُ تعالى – على هذا الشَّطرِ فقالَ : « لعلَّ قولَه : « وَلُطْفُ اللهِ نَجَّى آلَ مُوسَى » مِثلُ قَولِهم : « شَاءَتْ قُدرَةُ الله كذا » ، ولا يَصِحُّ ذلكَ ؛ لأنَّ القُدرةَ مَعنًى ووَصفٌ ، والمعنَى لا مَشيئةَ لهُ ، =

ويوسـفُ قبـلَ أن يُؤْتيـهِ مُلـكًا * قَضى أَن يَبـتَلـيهِ لِيَصطَفـيهِ [٣]

= ولا يَصحُّ أن يُنسَبَ الفِعلُ إليه ، بل المشيئةُ لمن يَشاءُ ، والفِعلُ للفاعلِ .

قال الشَّيخُ ابنُ عُثَيمِين رحمه الله تعالى في (المناهي اللَّفظيَّـة) وقد سُئِلَ عن العِبارَة السَّابقةِ :

« لا يَصِحُّ أن نَقولَ : « شاءَتْ قُدرَةُ الله » ؛ لأنَّ المشيئةَ إرادَةٌ ، والقُدرةُ مَعنًى ، والمعنَى لا إرادةَ لهُ ، وإنَّما الإرادةُ للمُريدِ ، والمشيئةُ لمن يَشاءُ ، ولكنَّنا نَقولُ : « اقتَضتْ حِكمةُ الله كذا وكذا » ، أو نَقولُ عن الشَّيءِ إذا وَقعَ : « هَذه قُدرَةُ الله » ، أي : مَقدُورُه ، كما تَقولُ : « هَذا خَلقُ الله » ، أي : مَخلوقُه . وأمَّا أن نُضيفَ أمرًا يَقتضِي الفِعلَ الاِخْتِياريَّ إلى القُدرَةِ فإنَّ هذا لا يَجوزُ .

ومِثلُ ذلكَ قولُهم : « شَاءَ القَدَرُ كذا وكذا » وهذا لا يَجوزُ ؛ لأنَّ القَدَرَ والقُدرَةَ أمرانِ مَعنويَّانِ ولا مشيئةَ لهما ، وإنَّما المشيئةُ لمن هو قادِرٌ ولمن هو مُقدِّرٌ . واللهُ أعلَمُ » اهـ

ولو قالَ الشَّاعرُ : (بِلُطْفٍ مِنهُ نَجَّى آلَ مُوسَى) لَاستَقامَ الكَلامُ ، إلَّا أنَّه قد يَرِدُ عليهِ أنَّ الضَّميرِ في (مِنهُ) ليسَ له مَرجِعٌ صَحيحٌ ، إذ لم يُذكَر لَفظُ الجلَالةِ قبلَ هذا البَيتِ حتَّى يَصحَّ ردُّ الضَّميرِ إليهِ » اهـ (هيئة التحرير)

(٣) * فائدة :

علَّقت الأُستاذةُ عائشةُ – وفَّقها اللهُ تعالى – على تَسكينِ الياءِ في قَولِ الشَّاعرِ « أَنْ يَبْتَلِيهِ لِيَصْطَفِيهِ » فقالَت : « ذَلكَ جائزٌ في ضَرورةِ الشِّعرِ ، قالَ ابنُ جِنِّي في (الخصائِص ٢/ ٣٤٣) :

« وقد كَثُر إسكانُ الياءِ في مَوضعِ النَّصبِ ، كقولِه :

* يا دارَ هندٍ عَفَتْ إلَّا أَثافِيها *

وهو كَثيرٌ جدًّا ، وشُبِّهت الواوُ في ذلك بِالياءِ ، كما شُبِّهت الياءُ بِالألفِ ؛ قالَ الأخطَلُ :

إذا شِئْتَ أَن تَلْهُو بِبَعضِ حَديثِها نَزَلْنَ وَأَنْزَلْـنَ القَطينَ الـمُولَّـدا =

قَميـصٌ لَطَّـخوهُ دمًـا كَـذوبًـا * أصـابَ الشَّيــخَ في أَعلى بَنـيهِ

قَمـيـصٌ قُـدَّ مِن دُبُـرٍ لِسـوءٍ * فكانَ خُصـومُ يوسـفَ شاهِديهِ

قَـمـيـصٌ رَدَّ لِلمَـحـزونِ نـورًا * بِنَـفْـحِ شَـذا حَبـيبٍ يَرتَـديهِ

على عيسى سـلامُ اللهِ تَـترى [٤] * وأَنعِــم بالمُـقَـرَّبِ والوَجـيـهِ

عَـلا فوقَ السَّــماءِ بِخَـيرِ حالٍ * لِيَنـجـوَ مِن بَراثِــنِ قاتِـلـيهِ

ويونـس إذ دَعـا في بَطنِ حوتٍ * فَيَجْـأَرُ لِلإلَـــهِ ويَشتَـكـيهِ

فَشـقَّ دُعـاؤهُ ظُلَـمًـا ثـلاثًـا * فأَدرَكَـهُ المُجــيبُ لِسائِلــيهِ

كـذاكَ اللهُ لا يَـرضى بِظُلـمٍ * تَعـالَى عَن مَثيــلٍ أو شَبــيـهِ

عجِبتُ لِمَن تَلَبَّسَ بِالمـعاصي * ولم يَتـوقَّ عَـن فِعـلٍ كَريــهِ

= وقال الآخَر :

فَمـا سـوَّدتني عامِــرٌ عـن وِراثَـةٍ أَبَى اللهُ أَن أَسْمُو بِأُمٍّ ولَا أَبِ » اهـ (هيئة التَّحرير)

(٤) * تنبيهٌ مهمٌّ :

كانَ الشَّاعرُ قد استَعْملَ كلمةَ (تَـتْرى) فِعلًا فقالَ : « عَلَى عِيسَى سَلَامُ الله يَـتْرَى » ، فنَـبَّهت الأُستاذةُ عائشةُ – وفَّقها اللهُ تعالى – إلى أنَّ الصَّحيحَ في (تَـتْرَى) أنَّها اسمٌ ، فقالَت : « يُراجَعُ للفائدةِ : المبحَثُ اللُّغويُّ الَّذي كتبَه د . محمود الطَّناحيُّ عن كَلمةِ (تَتْرَى) في (مَقالاتِه ٢ / ٥٥٤ – ٥٦٢) ، حَيثُ بيَّنَ في مَبحثِه هذا أنَّها اسمٌ ، وليسَتْ فِعلًا كما يظنُّه كثيرٌ من النَّاس » اهـ (هيئة التَّحرير)

فيَمنعُ خـيرَهُ عَـن مُستَـحقٍّ * ويُعـطي نَفـسَـه ما تَشـتَـهيـهِ

وقَـد خُتِـمَتْ سَعـادتُهُ بِمـوتٍ * وقَـبرٍ ما دَرى مـا يَحتـويـهِ

ويومَ يكـونُ عندَ الموتِ جِسْمًا * طَريحًـا بـينَ أيـدي غاسِلـيهِ

سألـتُ اللهَ إصـلاحًا لِشَـأني * لَعـلِّي مُحسِنٌ فيـمـا يَلـيهِ

« رِسالةٌ إلَى صَديقٍ لم أَلقَهُ بَعدُ »

إلَى صَديقٍ لـم أَلقَهُ بَعدُ :

سلامُ الله عليكَ ورحمتُه وبركاتُه ، أمَّا بعدُ :

فقد وصلَتْني رسالتُك - وَصَلَ الله أيامَك بالسُّعودِ والسَّلامةِ - فرأيتُها نِعمَ الألوكةُ مِن الصَّديقِ للصَّديقِ ، ومن المحبِّ للحبيبِ .

وإنِّي أُبشِّرُكَ بتَوَارُدِ نِعَمِ الله عليَّ ، وتتابُعِ آلائِه إليَّ ، فلا أزالُ - بحَمدِهِ وفَضلِه - في عملٍ صالحٍ يُسعِدُ ، وإحسانٍ أرجوهُ ليَومِ حسابي ، ولا أزالُ بعَونِه محمودًا عِندَ خَلقِهِ ، مُكرَّمًا عِندَهم .

وإنَّ رسالتَك - أيُّـهـا الصَّادقُ العَزمِ - تنـكأُ فـيَّ الأسَـى ، مع إذْكَارِهَا فضلَك - دونَ النَّاسِ - عليَّ .

أيُّها القادِمُ :

كمْ أحبُّ فيكَ الدَّأبَ على الكَمَالاتِ ، وتتبُّعَ الفَضَائلِ النَّادراتِ ، ولكَمْ يُعجِبُني فيكَ ضربُك بأخلاقِ [أهلِ] ذا الزَّمانِ الحائطَ ، والرُّجوعُ إلى أخلاقِ سَلَفِنَا الـمُجتبى ، فعليكَ سَلامُ الله [وبَركاتُه] .

أيُّها الآتِـي :

إذا ذكرتُ الصَّدَاقةَ والصَّديقَ فأنت – والله – المُسمَّى ، فبِك أَصُولُ ، [وإياكَ] – بعدَ الله – أستعينُ ، وإنِّي يا صديقي أُحدِّثُكَ بحديثٍ جَرَى البارحةَ :

كنتُ جالسًا في جماعةٍ من أهل مودَّتِنَا فيهم (أبو نَصرِ بنُ محمَّدٍ الأسلميُّ) و (سَعيدُ بنُ أَزهرَ الأَكلُبيُّ) فأجمَعوا على الإلحاحِ أن يَسألوني : مَن أَقرَبُ حَبيبٍ وصَديقٍ إليكَ ؟! وأَلصَقُهم بِقَلبِكَ ؟!

فتلكَّأتُ وقتًا ، واستقَلْتُهم فلم يُقيلوا ، فأنشأتُ أقولُ على الاقتِضابِ – وصورتُك يا صَديقُ لا تُفارِقُ مُخيلَتي – :

أيُّها الكُرماءُ :

إنَّ الصَّديقَ مِن الصِّدقِ ، وصديقُكَ مَن صدَقَك وصدَّقك وصادَقك ، وإنَّ

أحبَّ النَّاسِ عندي من إذا وعدتُه وفى ، وإن أكرمتُه ملكتُه ، وإن أغضبتُه ما جَفَا ، وإذا ائتمنتُه حَفِظَ ، وإذا خَاصمْتُه صَدَقَ ، وإذا أسررتُ له إسرارًا كَتَمَ .

إنَّهُ – أيُّها السَّادةُ – رجلٌ تَسَربَلَ كَرَمًا ، واكتَسى أَدَبًا ، وتَدَرَّعَ خُلُقًا . إنْ شئتَهُ كريمًـا أو أديبًا أو ظَرِيفًا ألفيتَـه كذلكَ . وإنْ مُلِمَّةٌ نَزلتْ وَوَجبتْ فأنا هو ، ومالُه مالي ، ووقتُه وقتي ، وهوَ أنا !

إنَّ صديقي صديقُ عُمْرٍ وحَبيبُ دَهرٍ ، بَلَوتُهُ وسَبَرتُه فإذا الذَّهبُ كَامنٌ ، والـمَـكَارمُ بَاديةٌ .

إنَّهُ الصَّديقُ الذي تَتَمنَّى لو بذلتَ روحَكَ ووقتَكَ له ، فلا أمنَّ عليك منه ، ولا أحقَّ بها غيرُه . كيف لا وهو في حياتي مُتَّـكَأٌ وغطاءٌ ، وفي سَيْري دَليلٌ، وفي الحَوَادثِ مُعينٌ ؟!

أعذبُ النَّاسِ لِسَانًا ، وأبرُّهُمْ جَنَانًا ، وأجملُهُمْ أَدَبًا ومُرُوءةً ، وأَشجَعُهم جَنَانًا ، لا يُغضي دُونَ مُنكرٍ ، ولا يَستبطِئُ في مَعْروفٍ ، وَلَه في الحَقِّ قَوادمُ ومناكبُ وخَوافٍ .

مـا رأيتُه يَومًا إلَّا ازدادَ قُربًـا إلـيَّ ، ويشهدُ اللهُ ما رأيتُـه إلَّا في طاعةٍ ، أو إلَيها ، أو راجِعًا مِنها .

صَافي الوِدَادِ ، لَيِّنُ الجَنَاحِ ، سَهْلُ الطِّبَاعِ ، ميسُورُ الأَخلاقِ ، لَطِيفُ الشَّمَائلِ ، يَكَادُ يكونُ في الكرَمِ الحقيقةَ لا المجازَ.

وتابعتُ حديثي قائلًا – ومُحيَّاك يا صديقُ أمامَ عينَيَّ – :

إنَّ الشُّعراءَ والأُدَبَاءَ أكثَرُوا في ذِكْرِ خُلُوِّ الزَّمَانِ من صَدِيقٍ صَدوقٍ صَادقِ الوَعدِ ، ولو أنَّهم رَأَوكَ لرَأَوا غايةَ المنتَهى ، ونهايةَ المطْلَبِ .

ثمَّ انفَتَلَ المجلِسُ وتفرَّقتِ الجماعةُ ، وبقيتُ أنا شوقًا لرسالتِك هذه ، أزدادُ لها شوقًا وهي تَزيدُني همًّا وصَبَابةً وتَذَكُّرًا ، فاللهَ أسألُ أن يُعجِّلَ بقُدومِكَ وسَلامتِكَ ، وأَن يَحفظَكَ ويَحميَكَ ، ويُقِرَّ عينَيَّ بكَ ، وأَبلِغ سَلامي إلى الإخوانِ الَّذينَ خَرجُوا مَعكَ إلى الثُّغورِ الجنوبيَّـةِ ، ودُمتُم بحِفظِ مَولاكُم ، وانتصارٍ على أعدائِكُم .

والسَّلامُ عَليكَ ورَحمةُ الله وبَركاتُه .

صديقٌ لـم تَلقَهُ

ألغاز وأحاجي شعرية (٣)

(مُسْتَلَّةٌ مِنْ حَلْقَةِ الأَدَبِ والأَخْبَارِ)

ألغازٌ وأحاجيُّ شِعريَّـة (٣)

من نَظمِ بعضِ جُلساءِ الملتقَى

الحمدُ لله رَبِّ العالمينَ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رَسولِ الله خاتَمِ النَّبيِّينَ ، وعلَى آلِه وصَحبِه أجمعينَ ، ومَن تَبِعَهم واستنَّ بسُنَّتِهم إلى يومِ الدِّينِ ، أمَّا بَعدُ :

فَهذِه طائِفةٌ أُخرَى مِن الألغازِ والأحاجيِّ الشِّعريَّةِ ، اختَرناها لكُم مِن حَديثِ جَلِيسِنا في المُلتَقى الأستاذِ البازِ – حفظه الله تعالى – المعَنْوَنِ بـ (أَلْغَاز وأحاجِي شِعريَّة) ، اقتَصرنَا فيها كذلك على ما كانَ مِن مَقولِ جُلسائِنا الكِرامِ ، دُونَ ما كانَ مِن مَنْقولِهم .

❊ ❊ ❊

١ . قالَ (البـازُ) مُلغِزًا :

ومـا اسمٌ إذا أسْـقَـطْتَ رابـعَـه غَـدَا ❊ مُـثَنًّى لبعـضِ النَّقدِ في حالـةِ النَّصْبِ

بِدايتُــهُ نَـوْعٌ مِــنَ الـوَردِ شــائـعٌ ❊ تَــرَاه قريـنًـا للتَّـحيَّـةِ عَـن حُــبِّ

ولو زِدْتَ حرفًـا – للبِـدايةِ – ثـالـثًـا ❊ لصـارَ المثـنَّى مُفـردًا داخلَ الـجَيْبِ

وتَبـقى حُـروفٌ - إنْ عدَدْنا - ثَـلاثَـةٌ * بها يَعمَلُ الجَـرَّارُ في الشَّرقِ والغَـربِ

لقد وَضَحَ المقصودُ كالشَّمسِ في الضُّحى * فما هُوَ بالتَّـفْصـيلِ يـا ثاقِـبَ اللُّـبِّ

٢. وقالَ أيضًا :

مـا اسمٌ إذا حذفْـتَ منه ألِفًا * صـارَ جمـاعةً مِـن الجـوارِي

وإن أخـذتَ نصفَـهُ فكُنْ لهُ * قبرًا وصُنْـهُ عن يـدِ الأشرارِ

وإن قَلَبْتَ مـا غَـدَوْتَ قـبرَهُ * وجَـدْتَـهُ بِـئرًا من الآبـارِ

ونِصفُه البـاقي أبٌ أو نبْـتـةٌ * أو جـزءُ عـامٍ يا ذَوي الأفكارِ

والاسمُ في القرآنِ جـاءَ ذكرُهُ * بالنَّصبِ والجرِّ بِـلا إضـمارِ

فمَنْ لهُ مِنكمْ أيا ذَوي النُّهى * ممَّـنْ أعُـدُّهـمْ من الأخيـارِ

ولا أُزكِّي أحـــدًا لأنَّـني * أوْكلـتُ هـذا الأمـرَ للقـهَّارِ

* * *

٣. وقالَ (أَبو إبراهِيمَ) مُلغِزًا :

وَشَيءٌ إِذَا رَأَيتَـهُ قُلْـتَ : مَـا اسْمُـهُ * فَإِنْ قُلتُ : قَد نَسِيتُ . كُنْتَ عَرَفْتَهُ

ولَسْتَ تَـرَى نَـاسًا بِهِ الَّا سَبَقْتُـهُمْ * كَذَاكَ تَـرَانِي الدَّهْـرَ مَـهْمَـا رَأَيْـتَـهُ

وَقَـدْ جَـاءَنَا مُكَـرَّرًا وَسَـط اسْمِـهِ * فَـذَا أَرْبَـعٌ مِن أَصْلِ سِتٍّ عَلِـمْـتَـهُ

٤. وقالَ أيضًا :

مَا بَلْــدَةٌ إِسْـمٌ لَـهَـا * فِـي سِتَّــةٍ مَـحْــكِيُّ

فَالنِّــصْـفُ مِنْ أَوَّلِـهَـا * فِـي شَرْعِـنَـا مَـنْــهِيُّ

وَالثُّـلْثُ مِـنْ آخِــرِهَا * عَـنْ رَبِّـنَــا مَـنْـفِـيُّ

وَالسُّدْسُ قَبْلَ الثُّلْثِ مِنْ * وَقْــوَاقِــهِـمْ مَأْتِــيُّ

قُـلْ لِي إِذَنْ مَا هَـذِهِ * يَـا أَيُّــهَـا الـذَّكِـيُّ !

* * *

٥. وقالَتْ (عائِشةُ) مُلغِزَةً :

أَخْبِرْ بِشَيْءٍ كَالثَّـلْجِ في لَوْنِـهِ * إن زَادَ أَوْ قَلَّ صِرْتَ في سَقَـمِ

شَيْءٌ تَرَاهُ بِالعَـيْنِ في يَقْظَةٍ * لكِن تَرَاهُ بالقَلْبِ في الحُلُمِ

* * *

الأَجوِبَـةُ

١. جوابُ اللُّغزِ الأوَّلِ :

(فِلسطين): فإنَّك إذا أسقطتَّ رابعَها ، وهو الطَّاءُ ، صارَت (فَلْسَين) . وهو مُثنَّى مَنصوبٌ لنَوعٍ من النَّقْدِ .

وبِدايتُه (فل) . وهو مِن أَنواعِ الوَردِ . وقد يُقالُ في التَّحيَّةِ : (صَباحُ الفُلِّ ، والياسَمِين) .

وإذا زدتَّها حرفًا ثالثًا ، وهو السِّينُ ، صارَت (فَلْس) . وهو مُفرَدُ (فَلسَينِ) .

ويَبقَى ثلاثةُ أَحرُفٍ ، وهي (طِين) . وبالطِّينِ يَعمَلُ الجرَّارُ ، وهو صانِع الجِرارِ ، في كُلِّ بَلَدٍ .

٢. جوابُ اللُّغزِ الثَّاني :

(السَّراب) : إن أَسقطتَ مِنها الألِفَ صارَت (سِرْب) ، أي : جَماعةٌ مِن الطُّيورِ ونَحوِها .

وإذا أَخذتَ نِصفَ الكلمةِ الأوَّلَ : (سِر) فكُن لِلسِّرِّ قَبرًا وصُنهُ عن يَدِ الأشرارِ .

فإن قَلبتَ كلمةَ (سِر) صَارَت (رَس) والرَّسُّ هو البِئرُ .

والنِّصفُ الثَّاني : (اب) فهو أَبٌ ، أو نَبتةٌ كما في قولِه : ﴿ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ ، أو شَهرُ (آب) .

وقد جاءت كَلمةُ (السَّرابِ) :

ـ مَنصوبةً في قَولِه تعالى في سُورةِ النَّبأِ : ﴿ وَسُيِّرَتِ الجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ .

ـ ومَجرُورَةً في سُورةِ النُّورِ في قولِه تعالَى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوٓا أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ ﴾ .

٣. جَوابُ اللُّغزِ الثَّالثِ :

(الأناناس) : فإنَّكَ تُسمِّيهِ فتَقولُ (أَنانَاس) فكأَنَّكَ قُلتَ (أَنَا نَاسٍ) .

وجاءَتْ كَلمةُ (أَنا) قَبلَ كَلمةِ (نَاس) مِن كَلمةِ (أَنانَاس) .

وكُرِّرَت في وَسَطِها (نَا) ، وهي مُكرَّرةً أَربعةُ أَحرُفٍ مِن سِتَّةِ أَحرُفٍ تَتكوَّنُ مِنهَا الكَلمةُ .

٤. جوابُ اللُّغزِ الرَّابعِ :

(سَمَرْقَنْد) : فَاسمُ البَلدةِ مكوَّنٌ من ستَّةِ حُروفٍ .

والنِّصفُ مِنْ أوَّلِها : (سَمَر) ، وقد نُهِيَ في شَرْعِنا عن السَّمَرِ بعدَ العشاءِ .

والثُّلثُ من آخرِها : (نِدّ) ، وهو الشَّريكُ ، نَنفيهِ عن ربِّنا سُبحانَه وتعالَى .

والسُّدسُ قبلَ الثُّلثِ : هو حَرفُ (القافِ) ، وقد أتَى في لَفظِ (الوَقواقِ) المذكورِ .

٥. جوابُ اللُّغزِ الخامِسِ :

(المِلحُ) : فهو أَبيضُ كالثَّلجِ ، و زِيادَتُه مُضِرَّةٌ كنَقصِه ، في الطَّعامِ والأَجسامِ .

ومَقلُوبها يُرَى في كَلمةِ (الحُلُم) .

❊ ❊ ❊

من مختارات الطرائف والنوادر (٣)

(مُسْتَلَّةٌ مِنْ مُضْطَجَعِ أَهْلِ اللُّغَةِ)

مِن مُختاراتِ الطَّرائفِ والنَّوادِرِ (٣)

الحمدُ لله ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رَسولِ الله ، وعلى آلِه وصَحبِه ومَن والَاه ، واقتفَى أَثَرَهُ ، واهتَدَى بهُداه ، أمَّا بَعدُ :

فإنَّ لِلقُلوبِ فَترةً عن بَعضِ الحقِّ ، لا يكشِفُها إلَّا التَّرويحُ عنها بشَيءٍ من اللَّهوِ المباحِ ؛ قالَ أبو الدَّرداءِ رَضِيَ الله عنهُ : « إني لَأُجِمُّ نَفسِي ببَعضِ الباطلِ ، كراهِيةَ أن أحمِلَ عليها مِن الحقِّ ما يُمِلُّها » اهـ

فإليكُم جُلساءَنا الكِرام طائفةً أُخرى مِن مُختاراتِ الطَّرائفِ مِن الحَديثِ الَّذي ابتدَأَه الأُستاذُ فَيصلٌ المنصورُ ، وعَنْوَنَ له بِـ (**مِن مُختاراتِ الطَّرائفِ والنَّوادِرِ**) .

كان عبدُ الأعلَى بن عمر قاصًّا ، فقصَّ يومًا ، فلمَّا كادَ مجلسُه ينقضي ؛ قال : « إنَّ ناسًا يزعُمونَ أنِّي لا أقرأُ مِنَ القُرآنِ شَيْئًا ، وإنِّي لأقرأُ مِنْهُ الكثيرَ – بحمدِ الله – ! » ثُمَّ قـالَ : ﴿ **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ * قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ** ﴾ ، ثُمَّ أُرْتِـجَ عليه ؛ فقالَ : « مَنْ

أَحبَّ أن يشهدَ خاتمةَ هذه السُّورةِ ؛ فلْيَحضُرنا في مجلسِ فُلان » .

[القُصَّاص والمذكِّرين]

❊ ❊ ❊

وكان أبو بكرِ بنُ المنخل وأبو بكرٍ الملَّاح مُتواخِيَين مُتصافِيَين ، وكان لهما ابنانِ صغيرانِ قد بَرَعا في الطَّلبِ ، وحازا قَصَبَ السَّبْقِ في حَلْبَةِ الأدَبِ ، فتَهاجَى الابنانِ بأَقذعِ هِجاءٍ ، فرَكِبَ ابنُ المنخلِ في سَحرٍ من الأَسحارِ معَ ابنِه عبدِ الله ، فجَعلَ يَعتبُه على هِجاءِ بَني الملَّاحِ ويقولُ له : « قَد قَطعْتَ ما بَينِي وبينَ صَديقِي وصَفيِّي أبي بكرٍ في إقذاعِكَ بِابنِه » ، فقال له ابنُه : « إنَّه بدأَني والبادي أَظلَمُ ، وإنَّما يَجِبُ أن يُلْحَى مَن بِالشَّرِّ تَقدَّم » ، فعَذَرهُ أبوهُ ، فبينَما هما على ذلكَ إذ أَقبَلا على وادٍ تَنِقُّ فيهِ الضَّفادِعُ ، فقالَ أبو بكرٍ لابنِه : « أَجِزْ » :

❊ تَنِقُّ ضَفـادِعُ الـوَادِي ❊

فقالَ ابنُه :

❊ بِصَـوتٍ غَـيرِ مُعـتَـادِ ❊

فقالَ الشَّيخُ :

❊ كَأَنَّ نَقِـيـقَ مِقْـوَلِـهـا ❊

فقالَ ابنُه :

* بَنُو الـملَّاحِ في النَّادِي *

فلمَّـا أَحسَّت الضَّفادِعُ بهما صَمَتَتْ ، فقالَ أبو بكرٍ :

* وتَصمُتُ مِثلَ صَمْتِهِمُ *

فقالَ ابنُه :

* إِذَا اجْتَـمَعُـوا عَلَى زَادِ *

فقالَ الشَّيخُ :

* فَـلَا غَوثٌ لِـمَلْهُـوفٍ *

فقالَ الابنُ :

* وَلَا غَيْــثٌ لِـمُـرْتَـادِ *

[نَفحُ الطِّيب مِن غُصنِ الأندلُسِ الرَّطيب]

* * *

وقيلَ لبَشَّارٍ : « إنَّ فلانًا يَزعُم أنَّه لا يُبالي بِلقاءِ واحدٍ أو أَلْفٍ » . فقالَ : « صَدَقَ ؛ لأنَّه يَفِرُّ مِن الواحدِ كما يَفِرُّ مِن الأَلْفِ » !

[جمعُ الجواهِر في الملَحِ والنَّوادِر]

وقال الصَّفَدِيُّ : « ومِنه [أي : مِن التَّحريفِ الَّذي نجَّى صاحبَه مِن الهلاكِ] ما حكاهُ الرُّواةُ من أنَّه لـمَّا غرِقَ شَبيبٌ الخارجيُّ في نَهرِ دِجلةَ ، أُحضِرَ إلَى عبدِ الملكِ بنِ مَروانَ بعدَ غَرَقِه عتبانُ بنُ وُصَيْلةَ - وقيلَ أُصيلةَ - الحرورِيُّ ، وكانَ مِن شُراةِ الجزيرةِ ، فقالَ له عبدُ الملكِ : ألستَ القائلَ :

فَإِنْ كَانَ مِنكُمْ كَانَ مَروانُ وَابنُهُ فَمِنَّـا أَمِـيرُ الـمُؤمِنِـينَ شَبِيـبُ

فقالَ : يا أَميرَ المؤمنينَ ! لَـمْ أَقُلْ هكذَا ، وإنَّما قُلتُ :

فَمِنَّـا حُصَـيْنٌ والبَطِـينُ وقَعْنَبٌ ومِنَّـا أَمـيرَ الـمُؤمِنِـينَ شَبِيـبُ

وفتَحَ الرَّاءَ مِن « أَمير المؤمِنينَ » ، فَاستَحْسنَ ذلكَ مِنه وخلَّى سَبيلَهُ ، فخَلُصَ مِن الموتِ بتَغيِيرِ حَركَةٍ » .

[تَصحيحُ التَّصحيفِ وتَحريرُ التَّحريفِ]

ومِنهُ - أي : مِن التَّحريفِ الَّذي نجَّى صاحبَه مِن الهلاكِ - : ما وَردَ عن محمَّدِ ابنِ الحسَنِ مِن أنَّه لـمَّا حَضرَ إلى العِراقِ اجتَمعَ النَّاسُ عليهِ ، يَسألونَه ، ويَسمعونَ كلامَه ، فرَفع خبرَه الحسدةُ إلى الرَّشيدِ ، وقيلَ : « إنَّ هذا يُفتي بعَدمِ وُقوعِ الأَيمـانِ ،

وعَدمِ الحِنْثِ ، ورُبَّمـا يُفسِدُ عُقولَ جُندِكَ الَّذينَ حَلَفوا لَك » ، فبَعث بمَن كَبسَ مَكانَه ، وحَملَ كُتبَه مَعه ، فحَضرَ إلَيهِ مَن فتَّشَ كُتبَه ، قالَ محمَّدٌ : فخَشيتُ على نَفسي مِن كُتبِ (الحِيَل) ، وقلتُ : بهذا تَروحُ رُوحي ، فأَخذْتُ القلَم ، ونَقطتُ نُقطةً ، فلمَّا وَصلَ إلَيهِ ، قالَ : ما هَذا ؟ قلتُ : كِتابُ (الخَيْل) يُذْكَرُ فيه شِياتُها وأَعضاؤُها . فرَمَى بهِ ولَـمْ يَنظُرْ إلَيه .

[تَصحيحُ التَّصحيفِ وتَحريرُ التَّحريفِ]

❊ ❊ ❊

وتُوفِّيَت حمادةُ بِنتُ عِيسَى بنِ عليٍّ ، وحضرَ المنصورُ جنازَتَها ، فلمَّا وَقفَ على حُفرَتِها ، قالَ لأَبي دُلَامةَ : « مَا أَعْدَدتَ لهذهِ الحفرَةِ ؟ » قالَ : « بِنتَ عَمِّكَ يا أَميرَ المؤمنينَ حَـمادةَ بِنتَ عيسى ، يُجاءُ بها السَّاعةَ فتُدفَنُ فيها » ! فغَلبَ المنصورَ الضَّحكُ ، حتَّى سَترَ وَجهَه بطَرفِ رِدائِه حَياءً منَ النَّـاسِ .

[التَّذكرة الحمدونيَّـة]

❊ ❊ ❊

وكانَ محمَّدُ بنُ يحيَى يُدْعَى بحاملِ كَفَنِه – وذلكَ ما ذكرَه الخطيبُ – قالَ : « بَلغَني أَنَّه تُوفِّي ، فَغُسِّلَ ، وكُفِّنَ ، وصُلِّيَ علَيه ، ودُفِـنَ ، فلمَّـا كانَ اللَّيلُ ؛ جاءَ نبَّاشٌ لِيَسرقَ

كَفنَه ، ففَتحَ عليهِ قَبْرَهُ ، فلمَّا حَلَّ عنهُ كَفَنَهُ ؛ استوَى جالِسًا ، وفَرَّ النبَّاشُ هارِبًا من الفَزَعِ ، ونَهَضَ محمَّد بنُ يحيَى هذا ، فأخذَ كَفنَه معَهُ ، وخَرَجَ مِنَ القَبْرِ ، وقَصدَ مَنزلَه ، فوجدَ أهلَه يبكونَ عليهِ ، فدقَّ عليهِم البـابَ ، فقالُوا : « مَنْ هذا » ؟ فقالَ : « أنا فُلانٌ » . فقالوا : « يا هَذا ! لا يَحِلُّ لكَ أن تَزيدَنا حُزنًا إلى حُزنِنا » . فقالَ : « افتَحُوا، والله أنا فُلانٌ » . فعرَفوا صَوتَه ، فلمَّـا رَأَوهُ ؛ فَرِحُوا به فرَحًا شَديدًا ، وأبدلَ اللهُ حُزنَهم سُرورًا . ثُمَّ ذَكَرَ لهم ما كانَ مِن أَمرِه ، وأَمرِ النَّـبَّاشِ . وكأنَّه قد أَصابَته سَكتةٌ ، ولَمْ يكن قد ماتَ حَقيقةً ، فقدَّرَ اللهُ – بحَوْلِهِ وقُوَّتِه – أن بَعثَ له هذا النَّـبَّاشَ ، ففتحَ عليهِ قبرَه ، فكانَ ذلكَ سَببَ حياتِه ، فعاشَ بعدَ ذلك عِدَّةَ سِنين .

[الهدايةُ في تَرتيبِ فَوائدِ البِدايةِ والنِّهايةِ]

وقال السُّبكيُّ في تَرجمة صفيِّ الدِّين الهنديِّ الأُرْمَوِي : « وكان خطُّه في غايةِ الرَّداءةِ ، وكان رجلًا ظريفًا ساذجًا ، فيُحكَى أنَّه قالَ : وجدتُّ في سُوقِ الكُتُبِ مرَّةً كتابًا بخَطٍّ ظننتُه أقبحَ مِن خطِّي ، فغالَيتُ في ثَمنِه ، واشتريتُه ؛ لأحتجَّ به علَى مَن يدَّعي أنَّ خطِّي أقبحُ الخطوطِ ، فَلَمَّا عُدتُّ إلى البيتِ ؛ وجدتُّه بخَطِّيَ القَديمِ ! » اهـ

[طبقات الشَّافعيَّـة]

وقَصدَ رَجلٌ الحجَّاجَ بنَ يُوسفَ الثَّقفيَّ فأنشدَه :

أَبـا هِشـامٍ بِبـابِكْ قَدْ شَمَّ رِيحَ كَبابِكْ

فقالَ لهُ : « وَيحَـك ! لِـمَ نَصبتَ أبا هِشام ؟ » قالَ : « الكُنيةُ كُنيَتي ، إن شِئتُ رَفعتُها وإن شِئتُ نَصبتُها ! »

[مُحاضَرات الأُدباء]

❊ ❊ ❊

ولبس السَّراويل عند العَرَبِ نادِرٌ : يُرْوَى أنَّ أعرابيًّا مَرَّ بسراويلَ ملقاةٍ ، فظنَّها قميصًا ، فأدخلَ يديه في ساقَيها ، وأدخل رأسَه ، فلم يَجِدْ منفذًا ، فقال : « ما أظنُّ هذا إلاَّ من قُمُصِ الشَّياطينِ ! » ثم رماها .

[خِزانة الأدَب]

❊ ❊ ❊

نَقلَتْ وَكالةُ الأنباءِ السُّعوديَّـة عَن رئيسِ اللَّجنةِ الإعلاميَّـةِ لِلتَّوعيةِ الإسلاميَّةِ بوِزارَةِ الشُّؤونِ الإسلاميَّةِ والأَوقافِ والدَّعوَةِ والإرشادِ في الحجِّ ، بَعضَ غَرائبِ الأسئلةِ في الحجِّ ، مِنها :

١. حاجٌّ يَسأَلُ : إن كانَ يجبُ عليهِ تَغطِيةُ وَجهِه أثناءَ الحجِّ ؛ لأنَّه يَحُجُّ عن أُمِّه ؟

٢. وآخرُ اتَّصلَ بِاللَّجنةِ يَسأَلُ : هَل يَجوزُ له الزَّواجُ بعدَما أدَّى فَريضةَ الحجِّ أو أنَّ الحاجَّ لا يَتزوَّجُ مُطلَـقًا ؟

٣. ومِن بَينِ الأسئلةِ ما وَردَ مِن حاجٍّ يَسأَلُ عن انتهاءِ الطَّوافِ ، فقد ظلَّ يَطوفُ مِن بَعدِ صلاةِ الفَجرِ حتَّى صَلاةِ الظُّهرِ ، لأنَّه كانَ يَظنُّ أنَّ الطَّائِفِينَ يَبدؤُونَ الطَّوافَ معًا ويَنتَهونَ معًا [ولَعلَّه لَـمْ يَلْحَظ أنَّ الطَّائِفِينَ يتغيَّرونَ بِاستِمرارٍ] ، واستَغْرَبَ من تَعِبِه مِن الطَّوافِ وهو شابٌّ ، في حينِ لـم يَتعَبْ بقيَّـةُ الحجَّاجِ الَّذينَ يَطوفونَ معه !

[وَكالَةُ الأَنباءِ السُّعوديَّـة]

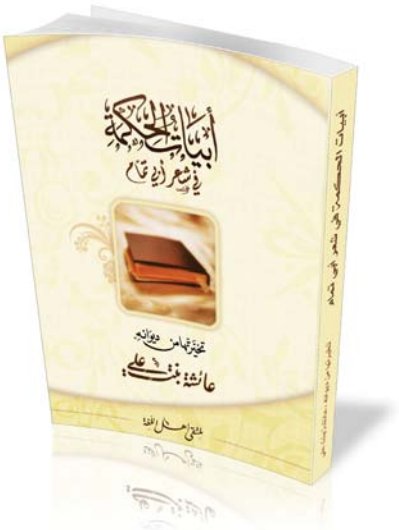
❊ ❊ ❊

من إصدارات الملتقى



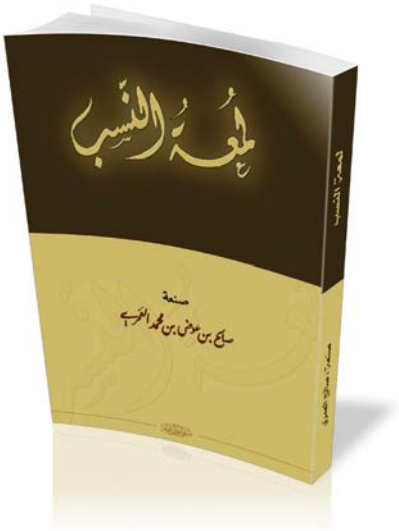
(... فهذه أبياتٌ مُشتـملةٌ على حِكم رائقة ، وأمثالٍ مونقة ، جمعتُها مِن شِعرِ أبي الطَّـيِّب ، راجيةً أن تكونَ مَرجعًا نافعًا يُعينُ الرَّاغبينَ في حِفظِها ، والاستِشـهادِ بها ، ولآلئَ ناصِعةً تُزيَّن بها الأحاديثُ ، ويُرصَّعُ الكَلامُ ، وتُقوَّى الحُجَجُ ...)

عائشة بنت علي



(... فهذا جَمعٌ لـما تَفرَّق فـي شِعرِ حَبيبِ بن أَوسٍ الطَّائيِّ المعروفِ بأبي تـمَّام ، مِن أوابِـد وفرائِد ، تَصلُح للاستشهادِ والتَّمثُّلِ ، جهدتُ في استِقصائِها ، ليَقرُبَ تناولُها ، ويَسهُلَ تَحفُّظُها ... راجيةً أن يكونَ مَعينًا يَستقِي منه قارئُه ما يُزيِّنُ به بيانَه ، ويُؤيِّدُ بُرهانَه ...)

عائشة بنت علي



(... فإنَّ طالبَ العلم لا غِنَى له عَن مَعرفةِ أُصولِ أَنسابِ العَربِ ، إذ كانَ ذلكَ مُعينًا له على فَهـمِ أَشعارِها ، وحِفظِ أَيَّامِها وأَخبارِها ، وقد نَظرتُ اليومَ فما رأيتُ – فيما أَعلمُ – مَتنًا صغيرًا في أَنسابِ العَرب ، يُناسِبُ المبتدئِينَ ... فاستعنتُ باللهِ تعالَى ووَضعتُ هذا المتنَ الصَّغيرَ ...)

صالح بن عوض العَمْري

* آخـر إصـدارات الملتقـى *



(... التقطتُ مِن شِـعْرِ البُحْتُرِيِّ أبياتًا غيرَ قليلةٍ في الحِكْمةِ ، أُقدِّمُها للقُرَّاءِ ؛ راجيةً أن تكونَ مَنْهَلًا يستقونَ منهُ فرائدَ الحِكَمِ ، وأوابِدَ الكَلِم ، وروضـةً يقطفونَ منها بديعَ الأمثالِ ، وبليغَ العِظاتِ ...)

عائشة بنت علي

فهرس الموضوعات

* اقرأ في هذا العدد *

تنبه وأنت تعرب كلام اللّه

أنس آغا

ص (٥)

من حلقة النحو والتصريف

لم عرفت السفينة ونكر الغلام والقرية ؟

فيصل المنصور

ص (١٨)

من حلقة البلاغة والنقد

الإقعاد

عائشة

ص (٣٠)

من حلقة العروض والإملاء

المتوفي أم المتوفى ؟

محمد تبركان

ص (٤١)

من حلقة فقه اللغة ومعانيها

أساء سمعا فأساء جابة !

صالح الجسار

ص (٤٩)

من حلقة الأدب والأخبار

قصيدة

صبح الذل

الشاعر علي المعشي

ص (٥٥)

من حلقة الأدب والأخبار

قصيدة

شركات المقاولات

الشاعر صالح العمْري

ص (٥٧)

من حلقة الأدب والأخبار

قصيدة

جمرات في رياح الزمن

الشاعر محمد خليل الزروق

ص (٦١)

من حلقة الأدب والأخبار

قصيدة

قسوت عليه

حتى تبعديه

الشاعر زيد الأنصاري

ص (٦٤)

من حلقة الأدب والأخبار

رسالة

إلى صديق

لم ألقه بعد

ابن المهلهل

ص (٧٠)

من حلقة الأدب والأخبار

ألغاز

وأحاجي شعرية

بعض جلساء الملتقى

ص (٧٥)

من حلقة الأدب والأخبار

❊ **من مختارات**

الطرائف والنوادر

ص (٨٢)

❊ **من إصدارات الملتقى**

ص (٩٠)

❊ **فهرس الموضوعات**

ص (٩٣)